الزواج وتشكيل الأسرة في الإسلام

المرجع الديني

آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي

أعلى الله درجاته

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر

كربلاء المقدسة

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الظروف العصيبة التي تمر بالعالم..

والمشكلات الكبيرة التي تعيشها الأمة الإسلامية..

والمعاناة السياسية والاجتماعية التي نقاسيها بمضض..

وفوق ذلك كله الأزمات الروحية والأخلاقية التي يئن من وطأتها العالم أجمع..

والحاجة الماسة إلى نشر وبيان مفاهيم الإسلام ومبادئه الإنسانية العميقة التي تلازم الإنسان في كل شؤونه وجزئيات حياته وتتدخل مباشرة في حل جميع أزماته ومشكلاته في الحرية والأمن والسلام وفي كل جوانب الحياة..

والتعطش الشديد إلى إعادة الروح الإسلامية الأصيلة إلى الحياة، وبلورة الثقافة الدينية الحيّة، وبث الوعي الفكري والسياسي في أبناء الإسلام كي يتمكنوا من رسم خريطة المستقبل المشرق. كل ذلك دفع المؤسسة لأن تقوم بنشر مجموعة من المحاضرات التوجيهية القيمة التي ألقاها المرجع الديني الإمام الراحل السيد محمد الحسيني الشيرازي (أعلى

الله مقامه) في ظروف وأزمنة مختلفة، حول مختلف شؤون الحياة الفردية والاجتماعية، وقد قام سماحته دُامَ بَرَكَاتُهُ بتهذيبها والإضافة عليها، وقمنا بطباعتها مساهمة منا في نشر الوعي الإسلامي، وسدّاً لبعض الفراغ العقائدي والأخلاقي لأبناء المسلمين من أجل غدٍ أفضل ومستقبل مجيد..

وذلك انطلاقاً من الوحي الإلهي القائل: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (١). الذي هو أصل عقلائي عام يرشدنا إلى وجوب التفقه في الدين وإنذار الأمة، ووجوب رجوع الجاهل إلى العالم في معرفة أحكامه في مواقفه وشؤونه.. كما هو تطبيق عملي وسلوكي للآية الكريمة: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۞ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ (٢).

إن مؤلفات الإمام الشيرازي (أعلى الله مقامه) تتسم بـ:

أولاً: التنوّع والشمولية لأهم أبعاد الإنسان والحياة لكونها انعكاساً لشمولية الإسلام..فقد أفاض قلمه المبارك الكتب والموسوعات الضخمة في شتى علوم الإسلام المختلفة، بدءاً من موسوعة الفقه التي بلغت المائة والستين مجلداً، حيث تعد أكبر موسوعة علمية استدلالية

---

(١) سورة التوبة: ١٢٢.

(٢) سورة الزمر: ١٧-١٨.

فقهية، مروراً بعلوم الحديث والتفسير والكلام والأصول والسياسة والاقتصاد والاجتماع والحقوق وسائر العلوم الحديثة الأخرى.. وانتهاءً بالكتب المتوسطة والصغيرة التي تتناول مختلف المواضيع والتي تتجاوز بمجموعها الـ (١٣٠٠) كتاب وكراس.

ثانياً: الأصالة حيث إنها تتمحور حول القرآن والسنة وتستلهم منهما الرؤى والأفكار.

ثالثاً: المعالجة الجذرية والعملية المستبصرة بمشاكل الأمة الإسلامية ومشاكل العالم المعاصر.

رابعاً:التحدث بلغة علمية رصينة في كتاباته لذوي الاختصاص كـ(الأصول) و(القانون) و(البيع) وغيرها، وبلغة واضحة سهلة يفهمها الجميع في كتاباته الجماهيرية مدعومة بشواهد من واقع الحياة.

نرجو من المولى العلي القدير أن يتقبل منا ذلك، إنه سميع مجيب.

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر

بيروت لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

قانون الزوجيّة في كلِّ مظاهر الحياة

قال الله تعالى: ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾[1].

ذكر في تفسير هذه الآية: ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ يعني من جنس أنفسكم ﴿أَزْوَاجاً﴾ فليست النساء من جنس آخر، وهذان فضلان، الأول: جعل الأزواج، والثاني: كونهن من نفس الجنس؛ لأن الإنسان لجنسه آلف ولنوعه أميل، قال الشاعر:«كل جنس لجنسه يألف». ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ﴾ أيها البشر ﴿مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ﴾ تأنسون بهم، ويكونون عونا لكم، وسبباً لامتدادكم في الحياة ﴿وَحَفَدَةً﴾ جمع حفيد، وهم أبناء البنات وأبناء البنين، أو الخدم ومن يشبهه، أو الأعم

(١) سورة النحل: ٧٢.

منهما؛ لأن معنى الحافد: المسرع إلى الخدمة، فإن كان المراد الأول كان عطفاً على البنين، وإن كان غيره كان عطفا في المعنى، أي جعل لكم حفدة[1].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «لو رأيت فردا من مصراعين فيه كلوب أكنت تتوهم أنه جعل كذلك بلا معنى؟ بل كنت تعلم ضرورة أنه مصنوع يلقي فردا آخر، فيبرزه ليكون في اجتماعهما ضرب من المصلحة، وهكذا تجد الذكر من الحيوان كأنه فرد من زوج مهيأ من فرد انثى، فيلتقيان لما فيه من دوام النسل وبقائه، فتبا وخيبة وتعسا لمنتحلي الفلسفة، كيف عميت قلوبهم عن هذه الخلقة العجيبة، حتى أنكروا التدبير والعمد فيها»[2].

وقد اهتم في ~~عالمنا اليوم~~ المختصون ـ في كل العلوم ـ في عالمنا اليوم أهمية فائقة لظاهرة الزوجية في المخلوقات، ففي علم الطب ـ مثلاً ـ يبحث الأطباء عن الزوجية في نواح متعددة، كالاختلافات، والاتفاقات، وتجانس الدم، أو عدم تجانسه، وغيرها. ~~وفي علم الفلك كذلك، يتحدث الفلكيون ويطرحون هذا السؤال: هل أن النجوم مرتبطة بنظام الزوجية؟ أي: هل هناك تناسب بين كل اثنين منهما؟ فيصح أن نقول: إن فيهما حالة الزوجية أم لا؟~~

(١) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج١٤ ص١٢٢ سورة النحل.

(٢) توحيد المفضل: ~~ص٦٨~~ص٦٨.

وفي علم الاجتماع كذلك، فإن المختصين أيضاً حينما يبحثون عن الأسرة، فإنهم يتحدثون عن الزوجين باعتبار أن الأسرة النواة الأولى لتكوين المجتمع، فيبحثون عن مشاكل الأسرة، وأسباب تقدّمها، أو انهيارها، وتأثير كل من الرجل والمرأة على الأسرة والمجتمع، وغير ذلك من الأمور.

وعلماء الحيوان أيضاً، يبحثون بصورة مفصّلة عن ذكر الحيوان وأنثاه، وأدوار كل منهما، وكيفية التزاوج بينهما، وأسلوب المعيشة، وطريقة الإنجاب، ونوع المأكولات، وغيرها مما يختص بعالم الحيوان.

وكذلك عندما نلقي نظرة إلى عالم النبات: نرى ظاهرة الزوجية واضحة جداً بكل ألوانها، ففي النخيل نرى هذه الظاهرة بوضوح، قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾[1] فإن عملية التلقيح تدلّ على وجود أنثى النبات التي تنتظر اللقاح ليخرج الثمر.

بل حتى في علم الفيزياء، نرى مسألة الموجب والسالب.

وفي علم الفلك كذلك، يتحدث الفلكيون ويطرحون هذا السؤال: هل أن النجوم مرتبطة بنظام الزوجية؟

أي: هل هناك تناسب بين كل اثنين منهما؟ فربما يقال: إن فيهما حالة الزوجية؟

~~وان~~ كما أن ظاهرة الزوجية قد توجد في عوالم أخرى؟ لعل العلم لم

(١) سورة الحجر: ٢٢.

يتوصل إليها بعد.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «فهذا الذي نشاهده من الأشياء بعضها إلى بعض مفتقر؛ لأنه لا قوام للبعض إلا بما يتصل به، كما ترى البناء محتاجا بعض أجزائه إلى بعض، وإلا لم يتسق ولم يستحكم، وكذلك سائر ما نرى»(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «... مؤلف بين متعادياتها، مفرق بين متدانياتها، دالة بتفريقها على مفرقها، وبتأليفها على مؤلفها، وذلك قوله عزوجل: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(٢)» (٣).

وقال عليه السلام: «أحال الأشياء لأوقاتها، ولاءم بين مختلفاتها، وغرّز غرائزها، وألزمها أشباحها»(٤).

وقال عليه السلام: «ولم يخلق شيئا فردا قائما بنفسه دون غيره؛ للذي أراد من الدلالة على نفسه وإثبات وجوده، فالله تبارك وتعالى فرد واحد لا ثاني معه يقيمه ولا يعضده ولا يكنه، والخلق يمسك بعضه بعضا بإذن

---

(١) بحار الانوار: ج٩ ص٢٦٢ ب١ ما احتج به صلى الله عليه وآله وسلم على المشركين والزنادقة وسائر أهل الملل الباطلة.

(٢) سورة الذاريات: ٤٩.

(٣) الكافي: ج١ ص١٣٩ باب جوامع التوحيد ح٤.

(٤) نهج البلاغة، الخطب: ١ من خطبة له عليه السلام يذكر فيها ابتداء خلق العالم والملائكة..

الله ومشيته»[1].

الزوجية أمر ضروري

إذن يستظهر ممن هذا وغيره: أن ظاهرة الزوجية أمر ضروري في الحياة، بل إن استمرار الحياة قائم بقانون الزوجية. فمثلاً: نحن نرى عدم اتفاق قطب السالب مع السالب، أو ~~السلك~~ القطب الموجب مع الموجب~~الحار مع الحار~~، بل لابدّ من وجود ~~حار وبارد~~سالب وموجب، لكي تصل الكهرباء مثلاً. وكذلك لا يمكن للأشجار أن تخرج ثمرها بدون لقاح الذكر، وكذلك لا تحصل عملية التوالد في الإنسان والحيوان وبعض المخلوقات الأخرى بدون عملية التزاوج.

لذا

~~فنكتشف من هذا وغيره~~ ف~~-~~إن ظاهرة الزوجية سنّة كونية لابدّ منها، ولا يستطيع أحد أن يقف بوجه السنن الكونية~~،~~؛ لأنها في النتيجة سوف تقهره وتهزمه، هذا قانون ثابت وراسخ لا يتغير.

---

(١) بحار الأنوار: ج١٠ ص٣١٦ ب١٩ مناظرات الإمام الرضا عليه السلام واحتجاجه على أرباب الملل المختلفة.

وعند ما سار قوم لوطعليه السلام [1] عكس هذا القانون وخالفوا السنن الكونية خسروا الدينا والآخرة، قال تبارك وتعالى: ﴿وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ ۞ أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا ائْتِنا بِعَذابِ اللهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۞ قالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ۞ وَلَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرى قالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَها كانُوا ظالِمِينَ﴾[2].

فحينما حين اكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء حق عليهم العذاب؛ فإن سلوكهم المنحرف هذا، والسائر بخلاف القانون الطبيعي، اصطدم في النهاية بقانون السنن الكونية، والذي لا يتغير.

فعن الامام الرضاعليه السلام قال: «أروي عن العالم عليه السلام أنه قال: لو كان ينبغي لأحد أن يرجم مرتين لرجم اللوطي، وعليه مثل حد الزاني من الرجم والحد، محصنا أو غير محصن. وإذا وجد رجلان عراة في ثوب

(١) لوط النبيعليه السلام وهو أول من آمن بإبراهيم عليه السلام، قيل: هو ابن هاران بن تارخ ابن أخي إبراهيم الخليل عليه السلام، وقيل: ابن خالته، وكانت سارة امرأة إبراهيم أخت لوط. وتبع إبراهيم في رحلاته، فكان معه بمصر، واغدق عليه ملك مصر، كما اغدق على إبراهيم، كثر ماله ومواشيه. انظر مجمع البحرين: ج٤ ص٢٧٢ مادة «لوط».

(٢) سورة العنكبوت: ٢٨. ٣١.

واحد وهما متهمان، فعلى كل واحد منهما مائة جلدة، وكذلك امرأتان في ثوب واحد، ورجل وامرأة في ثوب واحد. وفي اللواطة الكبرى ضربة بالسيف أو هدمة أو طرح الجدار وهي الإيقاب، وفي الصغرى مائة جلدة. وروي: أن اللواطة هي التفخذ، وأن على فاعله القتل، والإيقاب الكفر بالله، وليس العمل على هذا وإنما العمل على الأولى في اللواط، واتق الزنا واللواط؛ وهو أشد من الزنا؛ والزنا أشد منه، وهما يورثان صاحبهما اثنين وسبعين داء في الدنيا وفي الآخرة»[1].

فكانت النتيجة التي حكاها القرآن الكريم هي المصير الطبيعي لهؤلاء: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾[2].

النفس الواحدة

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[3]. وقد اعتقد البعض أن حواء عليها السلام خلقت من ضلع آدم عليه السلام، كما ترويه بعض الأخبار الضعيفة فاعتمدوها.

---

(١) فقه الرضا عليه السلام: ص٢٧٧ ب٤٤.

(٢) سورة هود: ٨٢.

(٣) سورة النساء: ١.

قال القمي في تفسيره: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ﴾ يعني آدم عليه السلام ﴿وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها﴾ يعني حواء برأها الله من أسفل أضلاعه..[1].

وروي في حديث أنه: «فلما نام آدم عليه السلام خلق الله من ضلع جنبه الأيسر مما يلي الشراسيف، وهو ضلعٌ أعوج، فخلق منه حواء، وإنما سميت بذلك لأنها خلقت من حي، وذلك قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها﴾ [2] وكانت حواء على خلق آدم وعلى حسنه وجماله..»[3].

ولكن هذا الرأي خلاف ما ورد في سائر الروايات المعتبرة وخلاف ما ذهب إليه معظم العلماء، فالصحيح هو أن الله عزوجل خلق حواء عليها السلام من فاضل الطين الذي خلق منه آدم عليه السلام.

إذن فقوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ أي بإطاعة أوامره ونواهيه ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ﴾ هي نفس آدم أبي البشر عليه السلام ﴿وَخَلَقَ مِنْها﴾ أي من تلك النفس، إما بالخلق من فضلة طينته، أو المراد من جنس تلك النفس ﴿زَوْجَها﴾ وهي حواء عليها السلام، فإن هذا الإله الخالق القادر حقيق بالتقوى، ولا يخفى أن ذلك لا ينافي خلق

---

(١) تفسير القمي: ج١ ص١٣٠ سورة النساء.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) مستدرك الوسائل: ج١٤ ص٣٢٤ ب١٧ ح١٦٨٤٠.

زوجتين جديدتين لهابيل وقابيل حتى نشأ منهما أبناء عمّ. كما عن الأئمة عليهم السلام. إذ الكلام في ابتداء الخلقة[1].

وقال الشيخ الطوسي قدس سره في تفسيره:

قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها﴾ يعني حواء، روي أنها خلقت من أضلاع آدم عليه السلام، ذهب إليه أكثر المفسرون، وقال أبو جعفر عليه السلام: « خلقها الله من فضل الطينة التي خلق منها آدم» ولفظ النفس مؤنث بالصيغة، ومعناه التذكير ههنا، ولو قيل نفس واحد لجاز[2].

ولو ثبت أنه تعالى خلقها من ضلع آدم عليه السلام فعلاً، فلا يرد أي إشكال عقلي على ذلك، لكن الصحيح ما ورد في حديث الإمام الباقر عليه السلام.

ثم خلق الله عزوجل منهما سائر الناس بقانون الزوجية: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ﴾[3]. ولم يقل تعالى: خلقناكم من ذكر فقط، بل من ذكر وأنثى.

وقد أبدع الله عزوجل في خلق الإنسان الذي كانت بدايته بخلق آدم وحواء، حتى انتهت الصورة بهذا التجمع البشري الكبير، الذي

---

(١) انظر تفسير (تقريب القرآن إلى الأذهان): ج٤ ص٩٥-٩٩ سورة النساء.

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ج٣ ص٩٩ سورة النساء.

(٣) سورة الحجرات: ١٣.

سيبقى إلى ما شاء الله تعالى، وهذا من أبرز مصاديق قانون الزوجية.

نظرية أصل الإنسان

لقد حاول البعض أن يثير الشبهات على أصل الإنسانية ومبدئها الأول، فقال: إن أصل الإنسان حيوان من فصيلة القرود، ثم بمرور الزمن تطور ومرّ بمراحل متعددة، إلى أن صار بهذه الهيئة التي هو عليها الآن![1].

---

(١) كما هو مذهب (داروين) وهو: تشارلز روبرت، ولد عام (١٨٠٩م)، عالم طبيعي إنجليزي، صاحب النظرية الداروينية في أصل الأنواع وتطورها، وهو يقول بأن الكائنات الحية تنزع إلى انتاج مواليد تختلف اختلافا طفيفا عن آبائها، وبأن عملية الاصطفاء الطبيعي تفضي إلى بقاء الأصلح، أو الأكثر تكيفا مع البيئة، وبأن ذلك كله يؤدى في نهاية المطاف، إلى ظهور أنواع جديدة لم تكن معروفة من قبل، وقد بسط داروين مذهبه هذا في كتابه (في أصل الأنواع) . الذي أثار عند نشره عام (١٨٥٩م) عاصفة في الدوائر العلمية والفلسفية والدينية جميعاً، فهلل له جمع وسفهه آخرون، وقد وجهت له حملات نقدية كثيرة حتى الآن. ويعتبر المؤسس الأول لنظرية التطور التاريخي للعالم العضوي، وفي سنة (١٨٦٨م) شرح داروين أصل الحيوانات المستأنسة والنباتات. وفي كتابه (سلالة الإنسان بالنسبة للجنس) عام (١٨٧١م) قدم داروين عرضاً عملياً لانحدار الإنسان من أسلاف حيوانية. وكانت النظرة الشاملة لأعمال داروين مادية، فقد كان مفكراً جدلياً تلقائياً وكان ملحداً لا يؤمن بما وراء المادة. سفه آراءه العلماء وأثبتوا بطلان نظريته ونقدوها بشكل علمي، فمما قالوا: إن النواميس التي أستند إليها داروين في

نظرية التطور باطلة؛ لأنها لم تستند إلى دليل علمي أو برهان عقلي. وقالوا: وماذا نعلل جثث الفراعنة، وقد مر عليها آلاف السنين دون أي اختلاف يميزها عن الإنسان الحديث؟!

وقد ثبت لدى الدراسة أن كثيراً من نباتات مصر وحيواناتها لم تتغير عن وضعها خلال قرون كثيرة متطاولة، ويتضح ذلك من الأنسال الداجنة المنحوتة في بعض الآثار المصرية القديمة أو التي حفظت بالتحنيط، وكيف أنها تشابه كل التشابه الصور الباقية اليوم، ويقول البعض رداً على النظرية التطورية: ويكفي لإبطال النظريات الداروينية أن يتأمل الإنسان (الحشرة) فإنها ظهرت في أقدم عصور الحياة الأرضية وثبتت أنواعها في جميع الأحوال. فهي تناقض ما ذهبوا إليه من التحولات المستمرة والبطيئة، فإنها تنقلب داخل الشرنقة من حالة الدودية الى حالة حشرة طائرة، ولا تأثير عليها في الخارج، فالحشرة اذن شهادة حسية لبطلان مذهب داروين، كما أثبت عجزه في تفسير غرائزها العجيبة المحيرة للعقول.

هذه الأدلة وغيرها ساهمت في دحض نظرية التطور التي لم تقم على البراهين العلمية الصحيحة، بل قامت على شكوك واستقراآت ناقصة أدت على نقد النظرية بالطرق العلمية والوجدانية. ويذهب بعض الباحثين أن فرويد متفق مع دارون حول نظريته؛ لأسباب وخلفيات فلسفية ايديولوجية التي تسمى (بالثورة الجنسية) أو الإباحية الجنسية التي انتشرت في العالم الغربي وفي العالم الشيوعي. إذ مادام الإنسان هو سليل الحيوانات ـ حسب رأي داروين وأتباعه ـ فإن الخلق والضمير والمثل الأخلاقية والعفة ليست إلا خرافة وخداعاً للنفس، وما على الإنسان إلا اتباع غرائزه تماماً كما يفعل أجداده من الحيوانات. انظر: الموسوعة السياسية: ج٢ ص٦٤٢ حرف الدال، والداروينية

وفي الواقع، إن هذا الكلام مجرد ترهات وافتراضات وتكهّنات لم يثبت بدليل.

بل الأدلة على عكس ذلك، ومنها ما أثبتته الحفريات والآثار في أصالة النوع الإنساني، وعدم مروره بهذه المراحل التي يدعيها دارون وأتباعه أمثال فرويد؛ وذلك لأنهم عثروا على هياكل عظمية للإنسان القديم تشبه في تركيبها وهيئتها تركيب وهيئة الإنسان الحالي.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن القرآن الكريم يصرّح في أكثر من مورد أن الله عزوجل قد خلق الإنسان من تراب بدون مرور بأي مرحلة من مراحل الحيوانية، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾[1]. وبما أن عيسى عليه السلام خلق على صورة الإنسان الكامل، فإن آدم عليه السلام أيضاً كان على نفس هذه الصورة الإنسانية. وإلا لما صحّ التمثيل.

وهناك آيات كثيرة تشير إلى مسألة خلق الإنسان. منها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾[3]. فإنه لم يقل: خلق الإنسان من سلالة القردة.

عرض وتحليل: ص١٨٦. وتهافت نظرية دارون: ص٩.

(١) سورة آل عمران: ٥٩.

(٢) سورة التين: ٤.

(٣) سورة الرحمن: ١٤.

إذن الإنسان في بداية خلقه كان إنساناً متكاملاً، ولم يكن قرداً ثم مرّ بمراحل حتى وصل إلى مرحلته النهائية ـ الإنسانية ـ والإسلام صريح في ذلك.

أمّا من يدعي أن أصل الإنسان قرد، فإنه يسند قوله الى بعض الاحتمالات فقط كأوجه الشبه بين الإنسان والقرد، وكذلك بما أن القرود من الحيوانات القديمة التي يتجاوز عمرها آلاف السنين فإنه يربط ذلك بمسألة خلق الإنسان. وكل ذلك خال من الدليل الصحيح، بل يرد عليه بأدلة ثابتة، كما أشرنا في الآيات القرآنية.

فالصحيح في خلق الإنسان: أن الله تعالى خلق الإنسان إنساناً على هيئته الحالية، ولم يكن قبل ذلك على شكل القرود أو سائر الحيوانات.

القرآن والمسوخ

نعم، إن الله تعالى مسخ بعض الناس الكفرة قردةً وخنازير وغيرها، فجعلهم على هذه الهيئات بعد أن كانوا بصورة الإنسان، وذلك لعصيانهم وطغيانهم على الله، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ لما اصطادوا السموك فيه ﴿فَقُلْنا لهمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ﴾[1].

وفي قصتهم ورد عن الإمام السجاد علي بن الحسين عليه السلام قال:

---

(١) سورة البقرة: ٦٥.

«كان هؤلاء قوما يسكنون على شاطئ بحر، نهاهم الله وأنبياؤه عن اصطياد السمك في يوم السبت. فتوصلوا إلى حيلة ليحلوا بها لأنفسهم ما حرم الله، فخدوا أخاديد وعملوا طرقا تؤدي إلى حياض، يتهيأ للحيتان الدخول فيها من تلك الطرق، ولا يتهيأ لها الخروج إذا همت بالرجوع منها إلى اللجج. فجاءت الحيتان يوم السبت جارية على أمان الله لها فدخلت الأخاديد وحصلت في الحياض والغدران. فلما كانت عشية اليوم همت بالرجوع منها إلى اللجج لتأمن صائدها، فرامت الرجوع فلم تقدر، وأبقيت ليلتها في مكان يتهيأ أخذها يوم الأحد بلا اصطياد لاسترسالها فيه، وعجزها عن الامتناع لمنع المكان لها. فكانوا يأخذونها يوم الأحد، ويقولون ما اصطدنا يوم السبت، إنما اصطدنا في الأحد، وكذب أعداء الله بل كانوا آخذين لها بأخاديدهم التي عملوها يوم السبت حتى كثر من ذلك مالهم وثراؤهم، وتنعموا بالنساء وغيرهن لاتساع أيديهم به. وكانوا في المدينة نيفا وثمانين ألفا، فعل هذا منهم سبعون ألفا، وأنكر عليهم الباقون، كما قص الله تعالى: ﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كانَتْ حاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾[1] الآية. وذلك أن طائفة منهم وعظوهم وزجروهم، ومن عذاب الله خوفوهم، ومن انتقامه وشديد بأسه حذروهم، فأجابوهم عن وعظهم ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ بذنوبهم هلاك الاصطلام ﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذاباً شَدِيداً﴾. فأجابوا القائلين لهم

(١) سورة الأعراف: ١٦٣.

هذا بـ﴿هذا مَعْذِرَةً إِلى رَبِّكُمْ﴾[1] هذا القول منا لهم معذرة إلى ربكم؛ إذ كلفنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فنحن ننهى عن المنكر ليعلم ربنا مخالفتنا لهم، وكراهتنا لفعلهم. قالوا: ﴿ولَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ونعظهم أيضاً لعلهم تنجع فيهم المواعظ، فيتقوا هذه الموبقة، ويحذروا عقوبتها. قال الله عزوجل: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾ حادوا وأعرضوا وتكبروا عن قبولهم الزجر ﴿عَنْ ما نُهُوا عَنْهُ قُلْنا لهمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ﴾[2] مبعدين عن الخير، مقصين.

قال: فلما نظر العشرة الآلاف والنيف، أن السبعين ألفا لا يقبلون مواعظهم، ولا يحفلون بتخويفهم إياهم وتحذيرهم لهم، اعتزلوهم إلى قرية أخرى قريبة من قريتهم، وقالوا: نكره أن ينزل بهم عذاب الله ونحن في خلالهم. فأمسوا ليلة، فمسخهم الله تعالى كلهم قردة خاسئين، وبقي باب المدينة مغلقا لا يخرج منه أحد ولا يدخله أحد. وتسامع بذلك أهل القرى فصدوهم، وتسنموا حيطان البلد، فاطلعوا عليهم فإذا هم كلهم رجالهم ونساؤهم قردة يموج بعضهم في بعض يعرف هؤلاء الناظرون معارفهم وقراباتهم وخلطاءهم، يقول المطلع لبعضهم: أنت فلان؟ أنت فلانة؟ فتدمع عينه، ويومئ برأسه بلا، أو نعم.

فما زالوا كذلك ثلاثة أيام، ثم بعث الله عزوجل عليهم مطرا وريحا

---

(١) سورة الأعراف: ١٦٤.

(٢) سورة الأعراف: ١٦٦.

فجرفهم إلى البحر، وما بقي مسخ بعد ثلاثة أيام، وإنما الذين ترون من هذه المصورات بصورها فإنما هي أشباهها، لا هي بأعيانها ولا من نسلها»[1].

وهذا واضح في أنهم في الأصل كانوا إنسانا، ثم مسخ الله منهم على شكل القردة أو غيرها من الحيوانات، لا أن أصل الإنسان كان قردا [2].

---

(١) تفسير الامام العسكري عليه السلام: ص٢٦٨ بيان سورة الأعراف.

(٢) للتفصيل راجع كتاب (الإنسان والقرد)، وكتاب (بين الإسلام وداروِن) للامام الراحل (أعلى الله مقامه) الذي ما انفك يدحض بمؤلفاته القيمة هذه الآراء الفاسدة، ويؤكد بطلانها. وقد ناقش (أعلى الله مقامه) هذه النظرية من الناحية العلمية وشخص انحرافها وضلال القائلين بها، وبين فيها ثغرات كبيرة، يجدها القارئ في كتابه الموسوم (بين الإسلام وداروِن) حيث طرحها بطريقة حوارية على شكل سؤال وجواب؛ ليتسنى للقارئ تسجيل العثرات والهفوات التي وقع فيها داروِن من خلال نصوص الأجوبة المفترضة والمستقاة من نص النظرية. وللإمام الراحل قدس سره مقدمة لطيفة لهذا الكتاب بين فيها بعض العلل والأسباب التي جعلت مثل هكذا نظريات تتسرب إلى البلاد الإسلامية فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

منذ قرون، والكفر يجمع قواه، ويهيئ عَدده وعُدده، ويصنع السلاح والعتاد، ليغزو بلاد الإسلام، وينشر سيطرته على المسلمين. وهذا ـ بطبيعة الحال ـ لم يكن بالنسبة إلى الإسلام بما هو هو.. كما لم يكن جديداً بالنسبة إلى

الإسلام، بما هو دين ودولة؛ إذ الإسلام بما هو هو أعلن منذ يومه الأول حربه الشعواء على الأنظمة الفاسدة، وعلى المستغلين والمستعمرين، وعلى المحترفين بالأديان المزيفة، والمتربّعين على آرائك السلطة باسم الله والمعاد. وبما هو دين ودولة، حاربته الأديان، وحاربته الدول، لما لمست فيه من قوة وثّابة آذنت بانهيارهما. فمنذ اليوم الأول، كان اليهود والمشركون ومن إليهم يشنّون الحروب الحارة والباردة على الإسلام ونبيّه وقرآنه، كما كانت الدول المحيطة بالجزيرة تتابع حروبها على الدولة الإسلامية.

لكن الإسلام صمد أمام كل هذه الاعتداءات بصبر ومثابرة حتى قبض على زمام الدنيا سياسياً واقتصادياً، وثقافياً وخلقياً؛ عقيدةً وسلوكاً. ورهبت الدول والأمم جانبه، حتى أن الحكام لم يكونوا يفكرون في منازلة المسلمين ومحاربتهم. ومع ذلك كله، تربّصت بالإسلام الدوائر حتى إذا تشتّتت دول المسلمين، واتّخذ كل من رؤسائهم منطقةً يحكم فيها، إذا بالكفر يبرز من خلف الستار ليحارب الإسلام في (الأندلس) باسم النصارى، وفي الشرق الأوسط باسم الصليب، وفي إيران والعراق باسم التتر، وهكذا.

لكن قوة الإسلام في نفوس المسلمين تمكنت من جمع قلوبهم، وإعادة الإسلام إلى الحياة، ليحكم البلاد في شؤونها العامة والخاصة. وهذا ما دفع الصليبيين الجدد إلى التفكير ملياً، ماذا يصنعون؟

وأخيراً: عزموا على انتزاع الإسلام من أدمغة المسلمين، حتى نجحوا في غزو البلاد فكرياً، وأمنوا من قيام الإسلام من جديد، ليطرد الكافرين والمستغلين.

وقد نجحت هذه الخطة أكبر نجاح، بينما غفل كثير من المسلمين عن هذه الخطة المدبرة بليل، ولقد صاح العلماء والمصلحون، وشجبوا انحراف المسلمين العقيدي، ولكن لا حياة لمن تُنادي! وإذا بالمسلم يتلفّت حوله، فلا يرى من

نظريات وانحرافات

وكذلك طرح فرويد[1] في نظرياته آراءً شاذة وأفكاراً منحرفة،

الإسلام إلا اسمه، وهو آخذ إلى الاضمحلال! أما البلاد فهي تُسحق تحت أقدام الاستعمار، ويتلو صائحهم:

خلا لكِ الجو فبيضي واصفري

وهذا هو ما حداني إلى أن أُلقي نظرة بسيطة إلى المبادئ المستوردة ـ تمهيداً للسيطرة الصليبية ـ ووضعها على طاولة البحث والتشريح، ليعرف الشباب مدى مطابقتها للمنطق والحقيقة. ونبدأ بالنظرية (الداروينية) في صورة حوار بين مسلم ودارون؛ والله الموفق. كربلاء المقدسة محمد بن المهدي.

(١) سيغموند فرويد، طبيب أعصاب نمساوي، ولد في مورافيا، دخل كلية الطب في فيينا في أعقاب مطالعته أعمال داروين ودراسة لغته، وتخرج طبيباً عام (١٨٨١م). استعاض فرويد عن التقويم المغناطيسي بتقنية الاسترخاء لعلاج مرضاه، وسماه (التداعيات الحرة)، وأدعى أن الانفعالات ذات الصلاة بالمواقف المنسية هي في معظمها ذات طابع جنسي، وأن اللاوعي والغريزة الجنسية له الأثر الكبير في تكوين شخصية الإنسان، وأن الكبت هو الذي يولد خالة المرض والجريمة، ويرى فرويد أن تصرفات البشر واتجاهاتهم وعواطفهم ثمرة الغريزة الجنسية، فالغريزة ـ برأيه ـ هي التي تحرك الإنسان من ولادته إلى مماته، ويرى أن أساس تكون الحضارات ووجودها هو الجنس فالحضارة عنده من مواليد الجنس. وأن الأديان رد فعل لحدث من الأجرام. أشهر اثاره (دراسات في الهستيريا) و(تأويل الاحلام).

ويعد الامام الراحل (أعلى الله درجاته) من أولئك القلائل الذين وقفوا كالطود

حيث ادعى أن أهم شيء في الحياة وفيه قوام الإنسانية هو الغريزة الجنسية، فيعزو كل حركة وفعل من الإنسان إلى غريزة الجنس، فيقول: إن الطفل عندما يلتقم الثدي يدفعه إلى ذلك غريزة الجنس، ويقول: إن

الشامخ .كأجداده . للدفاع عن حريم العقيدة الإسلامية والتصدي لكل فكر ورأي شاذ ودخيل يخالف الشريعة والفطرة الإنسانية، فشخص جيداً عظم الداء وحذر منه، وأعطى بعناية الدواء الناجع وألح عليه. فكتب (مباحثات مع الشيوعين) و(ماركس ينهزم) لصد تيارات المد الأحمر. وكتب (هؤلاء اليهود) و(هل سيبقى الصلح مع إسرائيل) و(احذروا اليهود) لتعريف المجتمع الإسلامي أساليب اليهود وخططهم في السيطرة والدعاية. وكتب (البابية والبهائية) لفضح أساليب الاستعمار وأفكاره التي جاء بها. وكتب (وقفة مع الوجوديين) لضرب آراء سارتر وتلامذته. وكتب (الإنسان والقرد) لتفنيد فرضيات داروين . وكتب (نقد نظريات فرويد) حيث يرد فيه على بعض آراء فرويد ونظرياته، فكشف بطلانها وشخص عيوبها وأخطاءها بأسلوبه المعهود وطريقته المتميزة التي تتسم بالوضوح والبساطة كما تتسم بالقوة والحسم. وضمنه بعض الردود على المهم مما جاء في نظريات فرويد، ولم يتطرق الى الجوانب والقضايا الأخرى، والمتعلقة بسلوك فرويد وعلاقاته الشخصية والاجتماعية؛ لانه ﷺ اراد ان يواجه الفكرة بالفكرة والرأي بالرأي، وعدم الخوض في القضايا الجانبية، ولو أراد الخوض بها لربما قال البعض أن هذه أمور شخصية وقضايا خاصة، مع أنها تركت تاثيراً كبيراً على كل ما جاء به فرويد من نظريات، حيث كشفت الدراسات بأن فرويد كان يعاني من عقد نفسية عديدة، أثرت وبقوة عل كل ما طرحه في مجال الإباحة الجنسية، أهمها علاقاته الشاذة مع بعض رفاقه وارتباطاته المحرمة مع محارمه و..

الحب الناشئ بين جميع الأفراد أساسه الغريزة الجنسية، وغير ذلك من الادعاءات الفارغة.

بينما جاء ماركس بنظرية أخرى، مفادها: أن أساس كل شيء هو الاقتصاد ووسائل الإنتاج. فكلما تطورت وسائل الإنتاج وتقدم الاقتصاد تقدمت البشرية، فيلغي أو ينسى كل القيم الروحية والمعنوية، ويربط تقدم البشرية بالمادة فقط[1].

---

(١) كارل ماركس، فيلسوف اشتراكي ألماني ثوري، ولد في مدينة ترير بمنطقة الراين. كان أبوه محامياً، يهودياً، ثم اعتنق المسيحية، ألتحق ماركس بجامعتي بون وبرلين حيث درس القانون، وكان شاعراً وأنضم إلى نادي الشعراء، أحس ماركس بنفسه ميلاً إلى الفلسفة فأقبل على دراستها، وكتب رسالة في فلسفة القانون. عرف بميله إلى فلسفة هيغل فأصبح من المناصرين له. عمل ماركس في الصحافة، وكان يطالب بحرية الصحافة، ثم اشترى مع أصدقاء له جريدة كولون وحولها الى جريدة اشتراكية ثورية. في بروكسل أتم نظريته في المادية التاريخية، بعدها انضم إلى الجمعية السرية الثورية الألمانية التي تسمى العصبة الشيوعية وكان شعارها (يا عمال العالم اتحدوا) وهو الذي ساعد في إنشاء الاتحاد العمالي العالمي الذي عرف فيما بعد بأسم الأممية الاشتراكية، مات ماركس عام (١٨٨٣م) في لندن. والماركسية هي النظرية الاشتراكية العالمية المنسوبة إلى ماركس والتي تعتمد على معنيين:

الأول: الطبقات وصراع الطبقات، حيث يعتبر أن سبب الصراع في التاريخ هو الطبقية، وأن هذا الصراع يؤدي بالضرورة إلى الدكتاتورية.

والثاني: رأس المال، فإن بقاء رأس المال في الطبقة البرجوازية يؤدي إلى تكدس

ولكن الإسلام يطرح النظرية الكونية الشاملة لكل مناحي الحياة، والتي تصون كرامة الإنسان، وتحفظ عزته وشرفه، مضافا إلى تقدمه العلمي، فلا ينسى تأثير غريزة الجنس وأهميتها، بل يحدّد لها أطرها المشروعة، وكذلك لا ينسى أو يهمل تأثير وأهمية المال على حياة الإنسان، بل يوازن بين هذا وذاك وغيرهما. فالجنس المطلق الذي تدعيه أوروبا، وبعض الدول الأخرى، اليوم قد أهلك سابقاً قوم لوط، وغيرهم من الأقوام، الذين اعتمدوا الجنس في كل مظاهر الحياة، وسوف تجري السنن الإلهية لتهلك أتباعهم يوماً ما بالإصابة بمختلف الأمراض الفتاكة وغيرها.

وأما المادة والاتجاه المادي البعيد عن المناحي المعنوية والروحية للحياة الذي يدعيه ويتبناه (ماركس) وأتباعه فمرفوض في الإسلام؛ لأن ذلك يقلّل من قيمة الإنسان وكرامته، وهو÷ أكرم المخلوقات، وكرامته مبنية على حسن عقله وتقواه، لا على ماله وما شابه ذلك. فالمال وسيلة تخدم الإنسان، وليس غاية أو هدفاً من أجله خلق الإنسان.

الأرباح عند بعض القوى وحرمان أصحاب الأيدي العاملة منها، وخير وسيلة لتحقيق الفائدة العامة، هي نقل ملكية وسائل الإنتاج الجماعية من ملكية الأفراد إلى ملكية الدولة، انظر موسوعة السياسة: ج٥ ص٦٣٥ حرف الميم. وراجع كتاب نقد المادية الديالكتيكية للامام الراحل (أعلى الله مقامه)، وماركس ينهزم، وغيرها من مؤلفاته القيمة التي تصدى فيها للنظريات والآراء الباطلة.

لذا حيث قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْناهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ﴾[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما شيء أكرم على الله من ابن آدم».

قيل: يارسول الله، ولا الملائكة؟

قال صلى الله عليه وآله: «الملائكة مجبورون، بمنزلة الشمس والقمر».

وفي حديث آخر قال صلى الله عليه وآله: «ليس شيء خيراً من ألف مثله إلا الانسان».

ومن كرامة الله تبارك وتعالى أن رزقه عظيم النعم وسخر- له ما شاء، فقال عز من قائل: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهارَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ ۞ وَآتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لا تُحْصُوها إِنَّ الإِنْسانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[2].

الأسرة في الإسلام

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[3].

---

(١) سورة الإسراء: ٧٠.

(٢) سورة إبراهيم: ٣٢ ـ ٣٤.

(٣) سورة الروم: ٢١.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: « تناكحوا تناسلوا تكثروا؛ فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة ولو بالسقط»[1].

إن من المعلوم أن الإسلام أعطى لكل من الرجل والمرأة وزنه الاجتماعي الخاص به، والذي بموجبه يؤثر في المجتمع الإنساني ويتقدم نحو الكمال. ووضع ضوابط وحدوداً لكل منهما تحفظ لهما تلك المكانة الاجتماعية، فأمر المرأة بالحجاب والستر، والحفاظ على نفسها، وعدم ابراز محاسنها إلا لزوجها لما فيه كرامتها وزيادة محبتها وعدم ابتذالها، والابتعاد عن مخالطة الرجال وغيرها من الأمور.

وأمر الرجال بغضّ البصر وعدم الاعتداء على حقوق المرأة، وحرمة اغتصابها وخداعها وإهانتها وتحقيرها. فبموجب الضوابط الإسلامية تحتفظ المرأة بكيانها وكرامتها، وتفترق عن إناث الدواب. وكذلك الرجل، فبموجب الضوابط الإسلامية هو يفترق عن الكواسر والوحوش.

ثم دعا الإسلام بشكل مكثف إلى الاقتران بين الرجل والمرأة عبر الزواج الشرعي السهل والبسيط في المتطلبات والتقاليد المتعارفة للزواج، وثم إنشاء الأسرة المتجانسة المتحابة المتراحمة، تسودها علاقات المودة والرحمة، تجسد علاقاتها بكل معنى الإنسانية الجميلة؛ لتسير قافلة البشر نحو إنشاء مجتمع إنساني صالح.

(١) جامع الأخبار: ص١٠١ الفصل ٥٨.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة جالسة عند القدر وأنا أنقي العدس، قال: يا أبا الحسن.

قلت: لبيك يا رسول الله.

قال: اسمع مني، وما أقول إلا من أمر ربي، ما من رجل يعين امرأته في بيتها إلا كان له بكل شعرة على بدنه عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها، وأعطاه الله تعالى من الثواب مثل ما أعطاه الله الصابرين، وداود النبي ويعقوب وعيسى عليهم السلام، يا علي، من كان في خدمة العيال في البيت ولم يأنف كتب الله تعالى اسمه في ديوان الشهداء، وكتب الله له بكل يوم وليلة ثواب ألف شهيد، وكتب له بكل قدم ثواب حجة وعمرة، وأعطاه الله تعالى بكل عرق في جسده مدينة في الجنة. يا علي، ساعة في خدمة العيال خير من عبادة ألف سنة وألف حج وألف عمرة، وخير من عتق ألف رقبة وألف غزوة وألف عيادة مريض وألف جمعة وألف جنازة وألف جائع يشبعهم وألف عار يكسوهم وألف فرس يوجهها في سبيل الله، وخير له من ألف دينار يتصدق على المساكين، وخير له من أن يقرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ومن ألف أسير أسر فأعتقها، وخير له من ألف بدنة يعطي للمساكين، ولا يخرج من الدنيا حتى يرى مكانه من الجنة. يا علي، من لم يأنف من خدمة العيال دخل الجنة بغير حساب. يا علي، خدمة العيال كفارة للكبائر ويطفئ غضب الرب ومهور حور العين ويزيد في الحسنات والدرجات. يا علي، لا يخدم العيال إلا صديق أو شهيد أو رجل يريد الله به خير الدنيا

والآخرة»[1].

حرية المرأة في الزواج

فأكّد الإسلام على حرية اختيار المرأة للزوج، وكما أعطاها الحق في أن تعطي رأيها به، وموافقتها عليه، فلا يحق لأحد أن يجبرها في الزواج وفي اختيار الزوج، بعد أن وضع علامات المرأة الصالحة، وعلامات الرجل الصالح، فأوجد نوعاً من المساواة بين الطرفين، وألزم حقوقا على الجانبين، لكيلا يشعر أحدهما بالغبن أو الضعف أو الاستعباد.

وقال الضحاك بن مزاحم: سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول، وذكر حديث تزويج فاطمة عليها السلام وأنه طلبها من رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال: «يا علي، إنه قد ذكرها قبلك رجال، فذكرت ذلك لها، فرأيت الكراهة في وجهها، ولكن على رسلك حتى أخرج إليك، فدخل عليها فأخبرها، وقال: إن علياً قد ذكر من أمرك شيئاً، فما ترين؟ فسكتت ولم تول وجهها، ولم ير فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كراهة، فقام وهو يقول: الله أكبر، سكوتها إقرارها»[2].

---

(١) جامع الأخبار: ص١٠٢ الفصل٥٩.

(٢) وسائل الشيعة: ج٢٠ ص٢٧٥ ب٥ ح٢٥٦١٧.

وعن أبي عبد الله عليه السلام في رجل يريد أن يزوج أخته؟

قال: «يؤامرها، فإن سكتت فهو إقرارها، وإن أبت لم يزوجها، فإن قالت: زوجني فلاناً، زوجها ممن ترضى، واليتيمة في حجر الرجل لا يزوجها إلا برضاها»[1].

وعنه عليه السلام أيضاً قال: «تزوج المرأة من شاءت إذا كانت مالكةً لأمرها، فإن شاءت جعلت ولياً»[2].

وفي حديث آخر قال عليه السلام: «تستأمر البكر وغيرها، ولا تنكح إلا بأمرها»[3].

وقال أبو الحسن عليه السلام في المرأة البكر: «إذنها صماتها، والثيب أمرها إليها»[4].

المرأة في الإسلام والأمم السابقة

لقد أكرم الإسلام المرأة أيما اكرام، وتمثل ذلك عبر أوامر وتعليمات وتوجيهات تحدد وتبين مكانة المرأة في المجتمع الإسلامي، وتبين أن كرامتها مضمونة في كل مراحل حياتها، وذلك عبر آيات شريفة وأحاديث كريمة مستفيضة، وسيرة عطرة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته

(١) الكافي: ج٥ ص٣٩٣ باب استئمار البكر ح٣.

(٢) الكافي: ج٥ ص٣٩٢ باب التزويج بغير ولي ح٣.

(٣) تهذيب الأحكام: ج٧ ص٣٨٠ ب٣٢ ح١١.

(٤) الكافي: ج٥ ص٣٩٤ باب استئمار البكر ح٨.

الطاهرين عليهم السلام.

فقد أمر بإكرامها وهي وليدة، حيث حرم أشد التحريم (وأدها) كما كان متعارفا في الجاهلية، وذم عدم الفرح بولادتها، بل أوصى بأكرامها وهي طفلة، وأكرامها واحترام رأيها عند الزواج، وإكرامها واحترامها ومودتها وهي زوجة، وإكرامها أشد الإكرام وهي أم، بل إكرامها أشد الإكرام في جميع مراحل حياتها، رافضاً لكل الضيم والحيف وعدم الإحترام الذي كان في حقها في الجاهلية وفي الامم السابقة واللاحقة. وهذه باقة عطرة من الآيات الشريفة والأحاديث الكريمة التي توصي بالمرأة:

قال سبحانه: ﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۞ يَتَوارى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ ما بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرابِ أَلا ساءَ ما يَحْكُمُونَ﴾[2].

وقال عزوجل: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ ۞ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾[3].

---

(١) سورة الروم: ٢١.

(٢) سورة النحل: ٥٨. ٥٩.

(٣) سورة التكوير: ٨. ٩.

قال أبو عبد الله عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: نعم الولد البنات؛ ملطفات مجهزات مونسات مباركات مفليات»[١].

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله تبارك وتعالى على الإناث أرأف منه على الذكور، وما من رجل يدخل فرحة على امرأة بينه وبينها حرمة إلا فرحه الله تعالى يوم القيامة»[٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «البنات حسنات والبنون نعمة، فإنما يثاب على الحسنات ويسأل عن النعمة»[٣].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات وجبت له الجنة».

فقيل: يا رسول الله صلى الله عليه وآله، واثنتين؟

فقال: «واثنتين».

فقيل: «يا رسول الله، وواحدة؟

فقال: «وواحدة»[٤].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لابنه محمد بن الحنفية: «يا بني، إذا قويت فاقو على طاعة الله، وإذا ضعفت فاضعف عن معصية الله عزوجل، وإن استطعت أن لا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها

---

(١) الكافي: ج٦ ص٥ باب فضل البنات ح٥.

(٢) الكافي: ج٦ ص٦ باب فضل البنات ح٧.

(٣) الكافي: ج٦ ص٦ باب فضل البنات ح٨.

(٤) الكافي: ج٦ ص٦ باب فضل البنات ح١٠.

فافعل؛ فإنه أدوم لجمالها وأرخى لبالها وأحسن لحالها؛ فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة، فدارها على كل حال، وأحسن الصحبة لها، ليصفو عيشك»[1]. وقال رسول اللهﷺ: «من دخل السوق فاشترى تحفة فحملها إلى عياله كان كحامل صدقة إلى قوم محاويج، وليبدأ بالإناث قبل الذكور؛ فإن من فرح ابنة فكأنما أعتق رقبة من ولد إسماعيل، ومن أقر بعين ابن فكأنما بكى من خشية الله عزوجل، ومن بكى من خشية الله عزوجل أدخل جنات النعيم»[2].

وقال أبو عبد اللهعليه السلام: «من عال ابنتين أو أختين أو عمتين أو خالتين حجبتاه من النار»[3].

وعن أبي الحسن موسىعليه السلام قال: «إذا وعدتم الصغار ففوا لهم، فإنهم يرون أنكم أنتم الذين ترزقونهم، إن الله عزوجل ليس يغضب لشيء كغضبه للنساء والصبيان»[4].

وعن علي بن الحسينعليه السلام قال: «إن أحبكم إلى الله عزوجل أحسنكم عملا، وإن أعظمكم عند الله عملا أعظمكم فيما عنده رغبة، وإن أنجاكم من عذاب الله أشدكم خشية لله، وإن أقربكم من الله أوسعكم خلقا وإن أرضاكم عند الله أسبغكم على عياله، وإن أكرمكم

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص٥٥٦ باب النوادر ح٤٩١١.

(٢) وسائل الشيعة: ج٢١ ص٥١٤ ب٣ ح٢٧٧٢٨.

(٣) غوالي اللآلي: ج٣ ص٢٩٥ باب النكاح ح٦٥.

(٤) الكافي: ج٦ ص٥٠ باب بر الأولاد ح٨.

على الله أتقاكم»[1].

نعم، هكذا هي الاسرة والمرأة في الإسلام، وهكذا أوصانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار (صلوات الله عليهم اجمعين).

المرأة في المجتمعات غير الإسلامية

أما حال المرأة في المجتمعات غير الإسلامية فقد كان بأسوأ حال، قبل الاسلام وبعده.

فقد كانت المرأة في الأزمنة السابقة، حالها كحالة الحيوان في التعامل معها، حيث كانت تباع بأي ثمن لمن يريد، وكانت تؤجر للخدمة والفراش والاستيلاد، وللأعمال الأخرى.

وبعبارة أخرى: فكانت المرأة عند بعض الأمم السابقة ليس لها أي استقلال حقيقي في الوجود، لا رأي لها، ولا كرامة ولا حرمة، فكانت تابعة رغماً عنها للرجل، يفعل بها ما يشاء، وبل كانوا يقتلونها، ويأكلون من لحمها في أيام المجاعة.

وفي أيام الجاهلية قبل الإسلام: كانت العرب لا ترى وزناً للمرأة، ولا سيّما إذا رزق أحدهم بنتاً، فإنه يسرع إلى وأدها تحت التراب، هروبا من العار الذي كانوا يرونه فيها.

وقد وصف أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى خطبه حال العرب قبل

---

(١) الكافي: ج٨ ص٦٨ حديث علي بن الحسين عليهما السلام ح٢٤.

الإسلام فقال: «.. فَالأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ، والأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ، والْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ، فِي بَلاءِ أَزْلٍ، وأَطْبَاقِ جَهْلٍ، مِنْ بَنَاتٍ مَوْءُودَةٍ، وأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ، وَأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ، وغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ» (١).

كان قوم من العرب يئدون البنات، قيل: إنهم بنو تميم خاصة، وإنه استفاض منهم في جيرانهم، وقيل: بل كان ذلك في تميم وقيس وأسد وهذيل وبكر بن وائل، وقال قوم: بل وأدوا البنات أنفة، وزعموا أن تميما منعت النعمان الإتاوة سنة من السنين، فوجه إليهم أخاه الريان بن المنذر، وجل من معه من بكر بن وائل، فاستاق النعم وسبى الذراري، فوفدت بنو تميم إلى النعمان واستعطفوه، فرق عليهم وأعاد عليهم السبي، وقال: كل امرأة اختارت أباها ردت إليه، وإن اختارت صاحبها تركت عليه، فكلهن اخترن آباءهن إلا ابنة قيس بن عاصم فإنها اختارت من سباها وهو عمرو بن المشمرخ اليشكري، فنذر قيس بن عاصم المنقري التميمي ألا يولد له بنت إلا وأدها، والوأد أن يخنقها في التراب ويثقل وجهها به حتى تموت، ثم اقتدى به كثير من بني تميم، قال سبحانه: ﴿وإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ۞ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾(٢) أي: على طريق التبكيت والتوبيخ لمن فعل ذلك أو أجازه، روى الزبير في (الموفقيات) أن أبا بكر قال في الجاهلية لقيس بن عاصم المنقري: ما

(١) نهج البلاغة، الخطب: ١٩٢ من خطبة لهعليه السلام تسمى القاصعة..

(٢) سورة التكوير: ٨ . ٩.

حملك على أن وأدت؟

قال: مخافة أن يخلف عليهن مثلك[1].

وقال ابن عباس: كانت المرأة في الجاهلية إذا حان وقت ولادتها حفرت حفرة، وقعدت على رأسها، فإن ولد بنتاً رمت بها في الحفرة، وإن ولدت غلاماً حبسته[2].

وكان الرجل من ربيعة أو مضر يشترط على امرأته، أن تستحيي جارية وتئد أخرى، فإذا كانت الجارية التي توأد، غدا الرجل أو راح من عند امرأته، وقال لها: أنت علي كظهر أمي إن رجعت إليك ولم تئديها، فتتخذ لها في الأرض خدا، وترسل إلى نسائها فيجتمعن عندها ثم يتداولنها حتى إذا أبصرته راجعاً دستها في حفرتها ثم سوت عليها التراب. وقيل: كانت الجاهلية يقتل أحدهم ابنته ويغذو كلبه فعاتبهم الله على ذلك، وتوعدهم بقوله: ﴿وإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾[3].

أما في الصين فقد كانت المرأة ممنوعة من الإرث. والمرأة في الهند إذا توفي زوجها فلا يحق لها الزواج مرة أخرى، فإما أن تحرق مع جسد زوجها، أو تعيش في ذلّة طيلة حياتها، وكانت هذه العادة جارية حتى

---

(١) شرح نهج البلاغة: ج١٣ ص١٧٤، شرح خطبة القاصعة. فصل في ذكر الأسباب التي دعت العرب إلى وأد البنات.

(٢) بحار الأنوار: ج٧ ص٩٣ ب٥ في صفة المحشر.

(٣) سورة التكوير: ٨ ـ ٩.

جاء غاندي وحاربها بقوة[1].

(١) موهانداس كرامشاند، زعيم وفيلسوف هندي قاوم احتلال الانجليز لبلاده، ولد في الهند عام (١٨٦٩م) اشتهر بلقب (المهاتما) أي: ذو النفس الزكية، دعا إلى تحرير الهند من سيطرة الإنجليز بالطرق السلمية واللاعنف بعيداً عن العنف، درس القانون بجامعة لندن وعاد إلى الهند ثم انتقل إلى جنوب افريقيا سنة (١٨٩٣م) حيث اشتغل بالمحاماة، ولم يلبث أن انصرف إلى قضية مواطنيه ضد قوانين التفرقة العنصرية، بدأ نشاطه السياسي عام (١٩١١م) بالمظاهرات التي نظمها ضد القوانين التعسفية التي شُرعت ضد الآسيويين، ونجح في إلغائها.

تضمنت معالم سيرة غاندي منذ عودته إلى الهند عام (١٩١٥م) فقد نادى بوحدة الجنس البشري تحت نواميس الله داعياً الى المحبة والعدالة والإخاء بين جميع أفراد الأمة الهندية، واعتمد كثيراً على توحيد الكلمة بإقامة الأواصر الطيبة بين الهندوس من جهة والمسلمين والمسيحيين من جهة أخرى، انتهج سياسة (التسامح الطائفي) حيث نجح في ضم ملايين المسلمين إلى حزب المؤتمر الهندي، وذلك خلال عقده المؤتمرات الجماهيرية العديدة، ولكن هذه السياسة أثارت بعض غلاة الهندوك ودفعت أحد هؤلاء لاغتياله في عام (١٩٤٨م).

ومن ابرز معالم سيرته تزعمه حركة استقلال الهند من الاحتلال الانجليزي فقام بتنظيم حركة عدم التعاون عام (١٩١٩م) ثم حركة الإضرابات التي شملت كل الهند، وتلا ذلك تنظيم العصيان المدني ومقاطعة البضائع الأجنبية، قبض عليه مرات عدة والقي في السجن، وفي عام (١٩٣٠م) نظم المسيرة الكبرى وعارض قانون احتكار الملح فسجن على اثرها، وفي عام (١٩٤٢م) قاد حملة

وفي اليونان لم يختلف الأمر كثيراً، وكان لا يحق للرجل أن يتزوج أكثر من واحدة، فإن تزوج امرأة أخرى كانت الثانية غير رسمية، فله أن يفعل بها ما يشاء، إما يبيعها، أو يجعلها خادمة، أو ما شاكل ذلك.

ولكن لما جاء الإسلام، فأعطى للمرأة كرامتها وحقّها الإنساني في الحياة، وألغى كل مظاهر الظلم التي من شأنها أن تلغي دور المرأة، وتسحق عفتها وشرفها، بل جعل كرامتها متساوية مع كرامة الرجل، ولا فرق إلا بالتقوى، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1]. فالميزان هو التقوى لا غير، بل إن الإسلام أعطى وزناً خاصاً للمرأة، باعتبارها تتحمل مسؤولية كبيرة في الحياة وهي مسؤولية الأمومة، فتكون الوعاء الحافظ للإنسان، وعليها يعتمد النوع البشري في بقائه؛

العصيان المدني الثانية التي أدت به إلى السجن أيضاً. استحدث غاندي في نضاله ضد الاستعمار عدة أساليب أبرزها المقاومة السلبية بدون عنف، ثم سياسة عدم التعاون بالامتناع عن العمل، ثم (العصيان المدني) التي شملت الامتناع عن دفع الضرائب، ثم مقاطعة البضائع الأجنبية بإحراقها علناً، ركز في تلبية الحاجات المعيشية عبر الاكتفاء الذاتي والعودة إلى الإنتاج الوطني، ويعتبر غاندي من أبرز دعاة السلام في القرن العشرين. انظر القاموس السياسي، لأحمد عطية:ص٨٣٤ حرف الغين، والمنجد في الأعلام: ص٣٨٧ حرف الغين، وكتاب (تجاربي مع الحقيقة) للغاندي.

(١) سورة الحجرات: ١٣.

ولذلك كانت هناك مساواة في النظرة الإلهية لكل من الرجل والمرأة، وكان مقياس النظرة الإلهية هو العمل الصالح، قال تعالى: ﴿أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾[1].

وقال تعالى أيضاً: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾[2].

ومن جانب آخر، أكد الإسلام على ضرورة الحياة الزوجية ومسألة الزواج، فكان الزواج هو الرابطة الشرعية المقدسة بين الرجل والمرأة، وهو سبب تكوّن الأسرة الصالحة، وهو من أهم أسباب حفظ احترام المرأة وكرامتها وعفتها، ولذلك نرى الدعوات والتشجيع الملح في الإسلام إلى على الزواج، وهو العلة الأولى لاستمرار النوع البشري بشكل مشروع سليم[3].

---

(١) سورة آل عمران: ١٩٥.

(٢) سورة النساء: ٣٢.

(٣) لعلنا لا نبالغ إذا قلنا: إن أكثر من شجع على الزواج ممن عاصرناه من العلماء في زماننا هذا هو الامام الراحل (أعلى الله مقامه)؛ إذ لا تجد شاباً من الشباب ـ العزاب ـ فاز بحظ ونصيب لقاء الامام الراحل إلا وشجعه وحثه بشدة على الزواج، وعدم التأخر في تنفيذ هذا الأمر، فكان هو (أعلى الله درجاته) من أهم الأسباب في تزويجه، مشوقاً لهم عبر الترغيب على الاستجابة في طاعة أوامر النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام مرة، ومحذراً من الوقوع

ولعظمة الزواج وأثره الاجتماعي والروحي نرى أن الإسلام قد شجع الناس على ذلك؛ قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الأَيامى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبادِكُمْ وَإِمائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَراءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ واسِعٌ عَلِيمٌ﴾(١).

وقال عزوجل : ﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٢).

وقال رسول اللهﷺ: «ما بني في الإسلام بناء أحب إلى الله عزوجل وأعز من التزويج»(٣).

وقال الرسول الأعظمﷺ: «النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني»(٤).

في الحرام والانحراف عن الصواب والإصابة بالأمراض أخرى، وقد كان (أعلى الله مقامه) السبب المباشر والرئيسي في تأسيس الكثير من مؤسسات وهيئات الزواج الخيري التي تحث الشباب وتساعدهم على الزواج، من خلال تقديم مبالغ نقدية أو أثاث منزلي أو إقامة حفلات الزواج الجماعي، أو ما إلى ذلك...

(١) سورة النور: ٣٢.

(٢) سورة الروم: ٢١

(٣) ~~من لا يحضره الفقيه:~~ مستدرك الوسائل: ج١٤ ص١٥٢ ب١ ح١٦٣٤٥.

(٤) جامع الأخبار: ص١٠١ ف٥٨ في التزويج.

وقال ﷺ: «من أحب أن يلقى الله طاهرا مطهرا فليلقه بزوجة»[١].

وللزواج فوائد عظيمة منها: ما مر ذكره، وهو استمرار النوع البشري، واكتساب ذرية صالحة، ومنها: الحفاظ على عفة المرأة والرجل فإنه قال رسول الله ﷺ: «من تزوج فقد أحرز نصف دينه، فليتق الله في النصف الآخر أو الآخرالباقي»[٢].

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «لو لم تكن في المناكحة والمصاهرة آية محكمة ولا سنة متبعة، لكان فيما جعل الله فيها من بر القريب وتألف وتآلف البعيد، ما رغب فيه العاقل اللبيب وسارع إليه الموفق المصيب»[٣].

وقال رسول الله ﷺ: «ما من شاب تزوج في حداثة سنه إلا عج شيطانه: يا ويله، يا ويله! عصم مني ثلثي دينه، فليتق الله العبد في الثلث الباقي»[٤].

وكذلك من فوائد الزواج: أنه أحد أبواب الرزق والعيش الرغيد، وثقل الميزان في الآخرة.

---

(١) وسائل الشيعة: ج٢ ص١٨ ب١ ح٢٤٩١٢.

(٢) -الكافي: ج٥ ص٣٢٩ باب كراهة العزبة ح٢.

(٣) مستدرك الوسائل: ج١٤ ص٢١٢ ب٣٣ ح١٦٥٢١.

(٤) بحار الأنوار: ج١٠٠ ص٢٢١ ب١ح٣٤.

فقد قال رسول الله ﷺ: «زوجوا أياماكم؛ فإن الله يحسن لهم في أخلاقهم، ويوسع لهم في أرزاقهم، ويزيدهم في مرواتهم»[١].

وقال ﷺ: «من ترك التزويج مخافة العيلة فقد أساء بالله الظن ليس منا»[٢].

وقال ﷺ: «حق على الله عون من نكح إلتماس العفاف عما حرم الله».

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من ترك التزويج مخافة الفقر فقد أساء الظن بالله عزوجل؛ إن الله عزوجل يقول: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ واسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٣] »[٤].

وسأل رسول الله ﷺ رجلا من أصحابه فقال: «يا فلان، هل تزوجت؟».

قال: لا؛ وليس عندي ما أتزوج به.

قال: «أليس معك: ﴿قل هو الله أحد﴾[٥]؟».

قال: بلى.

---

(١) بحار الأنوار: ج١٠٠ ص٢٢٢ ب١ ح٣٨.

(٢) الكافي: ح٥ ص٣٣٠ باب أن التزويج يزيد في الرزق ح١.

(٣) سورة النور: ٣٢.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص٣٨٥ باب فيمن ترك التزويج مخافة الفقر ح٤٣٥٣.

(٥) سورة التوحيد: ١.

قال: «ربع القرآن»، قال: «أليس معك: ﴿قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ﴾[1]؟».

قال: بلى.

قال: «ربع القرآن»، قال: أليس معك ﴿إِذا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ﴾[2]؟».

قال: بلى.

قال: «ربع القرآن».

ثم قال صلى الله عليه وآله: «تزوج، تزوج، تزوج!»[3].

كيف نحافظ على الأسرة؟

إن لكل عمل مقدمات يعتمد عليها، فإذا كانت المقدمات صحيحة وسليمة، كانت النتائج سليمة أيضاً ومثمرة، كالأساس الذي نضعه لقاعدة البناء، فكلما كان متيناً كان البناء الفوقي ثابتاً ورصيناً. وكذلك الأسرة، فهي بمثابة البناء الفوقي، وإن لها مقدمات إذا صلحت صلحت بها الأسرة. ونحن كلما كان اختيارنا للمقدمات السليمة والمتينة والعقلائيةً كانت الأسرة صالحة ونظيفة ومؤمنة، وبعيدة عن أجواء الفساد والتخلف.

---

(١) سورة الكافرون: ١.

(٢) سورة الزلزلة: ١.

(٣) مستدرك الوسائل: ج٤ ص٣٦٧ ب٤٤ ح٤٩٥٥.

وأول هذه المقدمات التي تقع قبل الزواج هي: مسألة اختيار المرأة، بصفات ومميزات وضعها الإسلام لهذه الغاية. وكذلك المرأة لابد وأن تختار شريكها عبر مواصفات إسلامية ضمن الأطر الشرعية الصحيحة.

وهذه الأمور هي من أهم المقدمات التي تكون قبل الزواج.

فأهم مواصفات المرأة هي: أن تكون عفيفة، مؤمنة، طيبة الأصل، ولوداً.

أما مواصفات الرجل، فأهمها: الإيمان والسيرة الحسنة، وأن يكون كفؤاً للمرأة، وقادراً على إعالتها وحمايتها.

فإذا استطاع كل منهما أن يحرز الصفات الجيدة في الطرف الآخر، فهذا أول علامات النجاح في الحياة الزوجية، وبناء الأسرة الصالحة.

وهذه باقة عطرة من الأحاديث الشريفة التي تبين مواصفات المرأة والرجل الذي يلزم اختيارهما للزواج، فقد قال رسول الله ﷺ: «ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة؛ تسره إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها، وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها

وماله»[1].

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إن لي زوجة إذا دخلت تلقتني، وإذا خرجت شيعتني، وإذا رأتني مهموماً، قالت: ما يهمك إن كنت تهتم لرزقك، فقد تكفل لك به غيرك، وإن كنت تهتم بأمر آخرتك فزادك الله هماً.

فقال رسول الله ﷺ: «إن لله عمالاً، وهذه من عماله، لها نصف أجر الشهيد»[2].

قال جابر الأنصاري: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فذكرنا النساء وفضل بعضهن على بعضٍ، فقال رسول الله ﷺ : «ألا أخبركم؟».

فقلنا: بلى، يا رسول الله فأخبرنا؟».

فقال: إن من خير نسائكم: الولود الودود الستيرة، العزيزة في أهلها الذليلة مع بعلها، المتبرجة مع زوجها الحصان عن غيره، التي تسمع قوله وتطيع أمره، وإذا خلا بها بذلت له ما أراد منها، ولم تبذل له تبذل الرجل».

ثم قال: «ألا أخبركم بشر نسائكم؟».

قالوا: بلى.

قال: «إن من شر نسائكم: الذليلة في أهلها العزيزة مع بعلها،

---

(١) الكافي: ج٥ ص٣٢٧ باب من وفق له الزوجة الصالحة ح١.

(٢) غوالي اللآلي: ج٣ ص٢٩١ باب النكاح ح٥٢.

العقيم الحقود التي لا تتورع من قبيحٍ، المتبرجة إذا غاب عنها بعلها، الحصان معه إذا حضر، التي لا تسمع قوله ولا تطيع أمره، وإذا خلا بها بعلها تمنعت منه تمنع الصعبة عند ركوبها، ولا تقبل له عذراً ولا تغفر له ذنباً».

ثم قال: «أفلا أخبركم بخير رجالكم؟».

فقلنا: بلى.

قال: «إن من خير رجالكم: التقي النقي، السمح الكفين، السليم الطرفين، البر بوالديه، ولا يلجئ عياله إلى غيره».

ثم قال: «أفلا أخبركم بشر رجالكم؟».

فقلنا: بلى.

قال: إن من شر رجالكم: البهات الفاحش، الآكل وحده، المانع رفده، الضارب أهله وعبده، البخيل الملجئ عياله إلى غيره، العاق بوالديه»[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تزوجوا الأبكار؛ فإنهن أطيب شيء أفواهاً، وأدر شيءٍ أخلافاً، وأحسن شيء أخلاقاً، وأفتح شيء أرحاماً، أما علمتم أني أباهي بكم الأمم يوم القيامة، حتى بالسقط، يظل محبنطئاً على باب الجنة، فيقول الله عزوجل له: ادخل الجنة، فيقول: لا حتى يدخل أبواي قبلي، فيقول الله تعالى لملك من

(١) تهذيب الأحكام: ج٧ ص٤٠٠ ب٣٤ ح٦.

الملائكة: ائتني بأبويه، فيأمر بهما إلى الجنة، فيقول: هذا بفضل رحمتي لك»[1].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وآله يستأمره في النكاح، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: نعم، انكح، وعليك بذوات الدين تربت يداك، وقال: إنما مثل المرأة الصالحة مثل الغراب الأعصم، الذي لا يكاد يقدر عليه، قال: وما الغراب الأعصم؟ قال: الأبيض إحدى رجليه»[2].

وعن إبراهيم الكرخي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن صاحبتي هلكت رحمها الله، وكانت لي موافقة، وقد هممت أن أتزوج؟

قال: فقال لي: انظر أين تضع نفسك، ومن تشركه في مالك، وتطلعه على دينك وسرك، فإن كنت فاعلاً فبكراً تنسب إلى الخير، وإلى حسن الخلق.

واعلم أنهن كما قال:

ألا أن النساء خلقن شتى ... فمنهن الغنيمة والغرام

ومنهن الهلال إذا تجلى ... لصاحبه ومنهن الظلام

فمن يظفر بصالحتهن يسعد ... ومن يعثر فليس له انتقام

وهن ثلاثة: فامرأة بكر ولود، تعين زوجها على دهره لدنياه

(١) الكافي: ج٥ ص٣٣٤ باب فضل الأبكار ح١.

(٢) تهذيب الأحكام: ج٧ ص٤٠١ ب٣٤ ح٩.

وآخرته، ولا تعين الدهر عليه، وامرأة عقيم لا ذات جمال ولا خلق ولا تعين على خير، وامرأة صخابة ولاجة هماز تستقل الكثير ولا تقبل اليسير»[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: إياكم وتزويج الحمقاء؛ فإن صحبتها بلاء وولدها ضياع»[2].

ومما أوصى لقمان ابنه فقال: يا بني، النساء أربع: ثنتان صالحتان، وثنتان ملعونتان، فأما إحدى الصالحتين، فهي: الشريفة في قومها الذليلة في نفسها، التي إن أعطيت شكرت وإن ابتليت صبرت، القليل في يديها كثير، والثانية: الولود الودود تعود بخير على زوجها، هي كالأم الرحيم تعطف على كبيرهم وترحم صغيرهم، وتحب ولد زوجها وإن كانوا من غيرها، جامعة الشمل، مرضية البعل، مصلحة في النفس والأهل والمال والولد، فهي كالذهب الأحمر، طوبى لمن رزقها. إن شهد زوجها أعانته، وإن غاب عنها حفظته. وأما إحدى الملعونتين فهي: العظيمة في نفسها الذليلة في قومها، التي إن أعطيت سخطت، وإن منعت عتبت وغضبت، فزوجها منها في بلاء، وجيرانها منها في عناء، فهي كالأسد، إن جاورته أكلك، وإن هربت منه قتلك، والملعونة الثانية فهي: قلى عن زوجها، وملها جيرانها، إنما هي سريعة السخطة، سريعة

(١) الكافي: ج٥ ص٣٢٣ باب أصناف النساء ح٣.

(٢) تهذيب الأحكام: ج٧ ص٤٠٦ ب٣٤ ح٣١.

الدمعة، إن شهد زوجها لم تنفعه وإن غاب عنها فضحته، فهي بمنزلة الأرض النشاشة، إن أسقيت إفاضته الماء وغرقت، وإن تركتها عطشت، وإن رزقت منها ولدا لم تنتفع به. يا بني، لاتتزوج بأمة فيباع ولدك بين يديك وهو فعلك بنفسك، يا بني، لو كانت النساء تذاق كما تذاق الخمر ما تزوج رجل امرأة سوء أبدا»[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «دخل رسول الله صلى الله عليه وآله منزله، فإذا عائشة مقبلة على فاطمة تصايحها وهي تقول: والله، يا بنت خديجة ما ترين إلا أن لأمك علينا فضلا، وأي فضل كان لها علينا؟ ما هي إلا كبعضنا. فسمع مقالتها لفاطمة، فلما رأت فاطمة رسول الله صلى الله عليه وآله بكت فقال: ما يبكيك يا بنت محمد؟ قالت: ذكرت أمي فتنقصتها فبكيت، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال: مه يا حميراء فإن الله تبارك وتعالى، بارك في الودود الولود، وإن خديجة (رحمها الله) ولدت مني طاهراً وهو عبد الله وهو المطهر، وولدت مني القاسم وفاطمة ورقية وأم كلثوم وزينب، وأنت ممن أعقم الله رحمه فلم تلدي شيئا»[2].

أما مواصفات الرجل فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته يخطب إليكم فزوجوه، إن إلا تفعلوه تكن فتنة في

(١) بحار الأنوار: ج١٣ ص٤٢٩ ب١٨ ح٢٣.

(٢) الخصال: ج٢ ص٤٠٥ ح١١٦.

الأرض وفساد كبير»[1].

وعن الإمام الرضا عليه السلام: «إن خطب إليك رجل رضيت دينه وخلقه فزوجه، ولا يمنعك فقره وفاقته، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللهُ كُلاًّ مِنْ سَعَتِهِ﴾[2] وقوله: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[3]»[4].

وجاء رجل إلى الإمام الحسن عليه السلام يستشيره في تزويج ابنته؟

فقال: «زوجها من رجل تقي، فإنه إن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها»[5].

مرحلة ما بعد الزواج

أما بعد الزواج ومرحلة ~~الحصول~~إنجاب ~~على~~ الأولاد، فالمسؤولية على الزوجين أكبر، حيث يلزم على الأبوين أن يقوما ب~~و~~خطوات لتربية الأطفال تربية سليمة من جهة، وخطوات فيما بينهما من جهة أخرى.

أما فيما بينهما من أمور، فمثل طاعة المرأة للزوج، وأخذ إذنه في الخروج من البيت، وأمور أخرى، كاحترامه وخدمته ما أمكن، والعناية

---

(١) بحار الأنوار: ج١٠٠ ص٣٧٢ ب٢١ ح٣.

(٢) سورة النساء: ١٣٠.

(٣) سورة النور: ٣٢.

(٤) فقه الرضا عليه السلام: ص٢٣٧ ب٣٢ في النكاح والمتعة والرضاع.

(٥) مكارم الأخلاق: ص٢٠٤ ف٣.

به، والمحافظة على أمواله وأطفاله وممتلكاته، وتمكينه منها.

أما الأمور التي يلزم أن يقوم بها الزوج تجاه زوجته، فهي: المحافظة عليها، وحمايتها، وتلبية احتياجاتها واحترامها، والتفاهم معها وتهيئة الملبس والمسكن لها.

وتبقى الخطوات التي يلزم أن يقومان بها معاً، وهي تربية الأولاد على النهج الإسلامي القويم، وتدبير المنزل، وخلق الأجواء الإيمانية فيه، وإبراز الحب والود والحنان للأطفال، وأن تسود المنزل ظاهرة الأبوة السمحة والأمومة العاطفية، وتغذية الأولاد بالأفكار والمفاهيم الإسلامية الرفيعة؛ لكي تكون بمثابة الأساس والمنطلق القويم لهم في الغد، والابتعاد عن الأجواء الفاسدة والعلاقات المضطربة بين الأبوين وإبعاد الأطفال عنها. وإبداء الاحترام للجيران وتعليم الأطفال ذلك، وغير ذلك من البرامج الإسلامية التي وضعها الإسلام للمحافظة على الأسرة بصورة عامة، والحياة الزوجية بصورة خاصة، وقد ورد بيانه مفصلا في الأحاديث الشريفة.

الإيمان وتأثيره على الأسرة

قال الإمام الصادق عليه السلام: « لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى تكون فيه خصال ثلاث: التفقه في الدين، وحسن التقدير في المعيشة، والصبر على الرزايا»[1].

(١) المحاسن: ج١ ص٥ ح١١.

عندما يملأ الإيمان بالله تعالى كل جوارح الإنسان وجوانحه، وعندما يستضيء بنور المعرفة والتوكل على الله؛ عندها يرى الإنسان الأشياء على حقائقها. ولكن عندما يبتعد الإنسان عن الله تعالى، ويخبو الإيمان في قلبه؛ عندها يرى الأوهام حقائق، وتبرز عنده الأزمات النفسية، وتضعف همته، ويخشى من أي شيء، ويتصور أن للأشياء استقلالاً ذاتياً في الوجود، حيث تنعدم عنده فكرة: (أن لا مؤثر في الوجود إلا الله تعالى)، ويتصور أن المخلوقات المختلفة تؤثر بدون إذن الله وإرادته وعلمه بها.

ومن هنا تبرز في حياة الإنسان أزمات نفسية وأفكار منحرفة، ناتجة من ضعف الإيمان، فتؤثر على العلاقات الاجتماعية وتهدم حياة الأسرة، أو على الأقل تعدم الثقة بين الزوجين؛ لأن الإنسان في هذه الحالة لا يؤمن بوجود رقيب يراقب كل حركاته وسكناته، فيتصرف طبق رغباته وأهوائه، فما يؤدي إلى أن تنعدم القيم الإنسانية، ويصبح تفكيره وتصرفه مادياً بحتاً. أما إذا بنيت العلاقة الزوجية على أساس الإيمان والتقوى والود والمحبة والاحترام المتبادل، فإن ذلك يكون دافعاً قوياً للاستقرار، وتكوين عائلة متكاملة مستقرة مؤهلة لأن يكون لها مستقبل مشرق.

الزواج المبارك

عندما نقرأ حياة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومولاتنا فاطمة الزهراء

عليها السلام؛ وعلى الأخص بعد الزواج المبارك (صلوات الله عليهما) نجدهما في قمة الفضيلة والنجاح، فكان زواجهما زواجاً ناجحاً، ومثالاً حياً يقتدى به على مر السنين.

ولو تساءلنا لماذا كيف كان زواجهما عليها السلام هكذا وسيرتهما مثالية بهذا الشكل، رغم الصعوبات المادية والظروف الصعبة المحيطة بهما؟ ولو دققنا في الجواب، لوجدنا أن السبب الحقيقي لذلك هو: أنهما عليها السلام وضعا رضا الله عزوجل في كل تحرك لهما، حيث إن الإيمان والعلاقة الخاصة لهما بالله تعالى، فرضت عليهما القناعة، والزهد، والبساطة، والابتعاد عن كل مظهر زائف وغير لائق، في مسألة الزواج، فلم يكن همهما المال أو الملبس، أو إقامة وليمة الزواج بشكل مترف ومبهرج وبتكلف. فلم تفكر الصديقة الزهراء عليها السلام فيما يمتلك الإمام علي عليه السلام من أموال ونقود؟

وقد روي: أن أمير المؤمنين عليه السلام قال لرجل من بني سعد: «ألا أحدثك عني وعن فاطمة الزهراء، إنها كانت عندي فاستقت بالقربة حتى أثر في صدرها، وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها فأصابها من ذلك ضر شديدٌ، فقلت لها: لو أتيت أباك فسألته خادماً يكفيك حر ما أنت فيه من هذا العمل.

فأتت النبي صلى الله عليه وآله فوجدت عنده حداثاً فاستحيت فانصرفت.

فعلم صلى الله عليه وآله أنها قد جاءت لحاجة، فغدا علينا ونحن في لحافنا،

فقال: السلام عليكم، فسكتنا واستحيينا لمكاننا.

ثم قال: السلام عليكم، فسكتنا.

ثم قال: السلام عليكم، فخشينا إن لم نرد عليه أن ينصرف، وقد كان يفعل ذلك فيسلم ثلاثاً فإن أذن له وإلا انصرف.

فقلنا: وعليك السلام يا رسول الله، ادخل.

فدخل صلى الله عليه وآله وسلم وجلس عند رؤوسنا، ثم قال: يا فاطمة، ما كانت حاجتك أمس عند محمد؟

فخشيت إن لم نجبه أن يقوم، فأخرجت رأسي، فقلت: أنا والله أخبرك يا رسول الله، إنها استقت بالقربة حتى أثر في صدرها، وجرت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فقلت لها: لو أتيت أباك فسألته خادماً يكفيك حر ما أنت فيه من هذا العمل.

قال: أفلا أعلمكما ما هو خيرٌ لكما من الخادم، إذا أخذتما منامكما فكبرا أربعاً وثلاثين تكبيرةً، وسبحا ثلاثاً وثلاثين تسبيحةً، واحمدا ثلاثاً وثلاثين تحميدةً.

فأخرجت فاطمة عليها السلام رأسها وقالت: رضيت عن الله وعن رسوله، رضيت عن الله وعن رسوله»[1].

ولكن ـ وللأسف ـ دأبت بعض العوائل في يومنا هذا على خلاف

(١) من لايحضره الفقيه: ج١ ص٣٣٠ـص٣٢٠ باب وصف الصلاة ح٩٤٧.

ما ذكرناه من القناعة والمحبة، فظهرت في الأسرة مشاكل وأزمات وبرزت هذه المشاكل على سطح الحياة، لتعبر بصورة أو بأخرى عن رداءة العلاقات الروحية فيما بين الزوجين، وضعف الإيمان، أو انعدام الإيمان، ثم عدم التوكل على الله تعالى، وعدم جعل رضا الله تعالى هو المنطلق والأساس في حياتهما، بل أقحموا بعض الأمور التافهة في حياتهما، وجعلوها هي الأساس والمنطلق، ولو على حساب الدين والعقيدة. ومن جملة هذه المقاييس. أو بالأحرى الموانع والعراقيل للسعادة الزوجية، عدة أمور:

أولاً: الطبقية، أي المستوى والمكانة الاجتماعية، فإن بعض العوائل جعلت الطبقية المادية مقياساً للزواج، ~~وأخذوفهما~~ يسألون مثلاً: هل الزواج من فلان أو فلانة يتلائم مع طبقتنا أم لا؟ وفي نظرهم: أن الملاءمة تعتمد على أساس المادة، أو صلة القرابة، بينما جاء في الحديث الشريف: «كلكم لآدم، وآدم من تراب»[1].

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله عزوجل لم يترك شيئاً مما يحتاج إليه إلا علمه نبيه صلى الله عليه وآله فكان من تعليمه إياه أنه صعد المنبر ذات يومٍ فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إن جبرئيل أتاني عن اللطيف الخبير فقال: إن الأبكار بمنزلة الثمر على الشجر، إذا أدرك ثمره فلم يجتنى أفسدته الشمس ونثرته الرياح، وكذلك الأبكار إذا أدركن ما يدرك

(١) جامع الأخبار: ص١٨٣ الفصل ١٤١ في النوادر.

النساء فليس لهن دواءٌ إلا البعولة، وإلا لم يؤمن عليهن الفساد لأنهن بشرٌ.

قال: فقام إليه رجلٌ، فقال: يا رسول الله فمن نزوج؟

فقال: الأكفاء.

فقال: يا رسول الله، ومن الْأكفاء؟

فقال: المؤمنون بعضهم أكفاء بعضٍ، المؤمنون بعضهم أكفاء بعضٍ»[1].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «الكفؤ أن يكون عفيفاً وعنده يسار»[2].

وعن الحسين بن بشارٍ قال: كتبت إلى أبي جعفرٍ عليه السلام في رجلٍ خطب إلي؟

فكتب: «من خطب إليكم فرضيتم دينه وأمانته كائناً من كان فزوجوه، وإلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»[3].

وذكرنقل في قصة: أن رجلاً وامرأة أرادا الزواج، وهما من عشيرتين مختلفتين، وكان التصور عند أهل كل منهما أن عشيرته أرفع من

---

(١) الكافي: ج٥ ص٣٣٧ باب ما يستحب من تزويج النساء عند بلوغهن ح٢.

(٢) الكافي: ج٥ ص٣٤٧ باب الكفو ح١.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص٣٩٣ باب الأكفاء ح٤٣٨١.

مستوى العشيرة الأخرى، فوقد كان المانع الأول والمعارض أشد المانعين والمعارضين الذي وقف أمام هذا الزواج: امرأة إمرأة كبيرة في السن من إحدى العشيرتين، وبعد فترة توفيت هذه المرأة، فرآها أحد الأشخاص في عالم الرؤيا بعد سنوات، فقالت له: لقد كنت في كل هذه السنين تحت العذاب الأليم، فسألها: وما هو ذنبك الذي اقترفتيه؟

فأجابت: لأنني منعت تزويج فلان من فلانة، وما رفع عني العذاب حتى تزوجت.

نعم، إنها حقائق تنعكس في العالم الآخر، فيجب أن لا تغيب عنا مثل هذه العبر.

ثانياً: الدخل الشهري، أوالرصيد المالي، وإنه كم يملك في المصارف أوالبنوك، فقد أصبحت معرفتهة هذا الأمر من أهم المقدمات في الزواج، وعليه تكون الموافقة أو عدمها؛ بحيث نسوا أو تناسوا المقاييس الحقيقية: من إيمان وكفاءة، وأقحموا المال فجعلوه المقياس الأهم، الذي تبنى على أساسه الرابطة الزوجية، وكذلك يقيّم على أساسه كل من الرجل والمرأة. ولكن علينا أن ننظر في تعاليم أهل البيت عليهم السلام في الزواج ونرى ماذا يقولون.

فورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا تزوج الرجل المرأة لمالها أو جمالها لم يرزق ذلك، فإن تزوجها لدينها رزقه الله عزوجل جمالها

ومالها»[1].

ثالثاً: الجاه أو المنصب، ولقد أصبح كل من الزوج والزوجة عندما يقدمان على الزواج، يسألان عن المنصب الذي يشغله الآخر، بحيث شاعت بعض العبارات الشعبية حول ذلك. مثلاً: في العراق شاعت عند بعض العوائل كانت عبارة: (لو ملازم لو مو لازم)[2]، أي: إن الذي يقدم على الزواج يجب أن يكون برتبة ضابط في الجيش أو الشرطة فما فوق، أو لاحاجة لنا بهذا الزواج وهذا الخاطب.

فغيروا بذلك المقاييس الحقيقية للزواج، وهي التقوى والإيمان والأخلاق الطيبة... فاستبدلوها بالمال والمنصب والدخل الشهري، وما إلى ذلك، مما يلائم أهواءهم ومصالحهم المادية، حتى وإن كان ذلك الرجل عاملا للظالمين!

قال أبو حمزة الثمالي: كنت عند أبي جعفر عليه السلام إذ استأذن عليه رجل فأذن له، فدخل عليه فسلم فرحب به أبو جعفر عليه السلام وأدناه وساءله، فقال الرجل: جعلت فداك، إني خطبت إلى مولاك فلان بن أبي رافع ابنته فلانة، فردني ورغب عني وازدرأني؛ لدمامتي وحاجتي وغربتي، وقد دخلني من ذلك غضاضة هجمة غض لها قلبي، تمنيت

(١) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص٣٩٣ـص٣٩٢ باب تزويج المرآة لمالها وجمالها أو لدينها ح٤٣٨٠.

(٢) أي أن يكون الزوج ضابطاً في الجيش، و(الملازم) رتبة عسكرية في الجيش العراقي، وقد اشتهر هذا المثل إبان الحرب العراقية الإيرانية.

عندها الموت؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: «اذهب فأنت رسولي إليه، وقل له: يقول لك محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام: زوج منجح بن رباح مولاي ابنتك فلانة، ولا ترده».

قال أبو حمزة: فوثب الرجل فرحاً مسرعاً برسالة أبي جعفر عليه السلام، فلما أن توارى الرجل قال أبو جعفر عليه السلام: «إن رجلا كان من أهل اليمامة يقال له: جويبر، أتى رسول الله صلى الله عليه وآله منتجعاً للإسلام، فأسلم وحسن إسلامه، وكان رجلا قصيرا دميما محتاجا عاريا، وكان من قباح السودان، فضمه رسول الله صلى الله عليه وآله لحال غربته وعراه، وكان يجري عليه طعامه صاعاً من تمر بالصاع الأول، وكساه شملتين، وأمره أن يلزم المسجد ويرقد فيه بالليل، فمكث بذلك ما شاء الله حتى كثر الغرباء ممن يدخل في الإسلام من أهل الحاجة بالمدينة، وضاق بهم المسجد، فأوحى الله عزوجل إلى نبيه صلى الله عليه وآله أن طهر مسجدك، وأخرج من المسجد من يرقد فيه بالليل، ومر بسد أبواب من كان له في مسجدك باب إلا باب علي عليه السلام ومسكن فاطمة عليها السلام، ولا يمرن فيه جنب، ولا يرقد فيه غريب.

قال: فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بسد أبوابهم إلا باب علي عليه السلام وأقر مسكن فاطمة عليها السلام على حاله.

قال: ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر أن يتخذ للمسلمين سقيفة فعملت لهم وهي الصفة، ثم أمر الغرباء والمساكين أن يظلوا فيها نهارهم وليلهم،

فنزلوها واجتمعوا فيها، فكان رسول الله ﷺ يتعاهدهم بالبر والتمر والشعير والزبيب إذا كان عنده، وكان المسلمون يتعاهدونهم ويرقون عليهم لرقة رسول الله ﷺ، ويصرفون صدقاتهم إليهم. فإن رسول الله ﷺ نظر إلى جويبر ذات يوم برحمة منه له ورقة عليه، فقال له: يا جويبر، لو تزوجت امرأةً فعففت بها فرجك، وأعانتك على دنياك وآخرتك؟

فقال له جويبر: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، من يرغب في! فو الله ما من حسب ولا نسب ولا مال ولا جمال؛ فأية امرأة ترغب في؟

فقال له رسول الله ﷺ: يا جويبر، إن الله قد وضع بالإسلام من كان في الجاهلية شريفاً، وشرف بالإسلام من كان في الجاهلية وضيعاً، وأعز بالإسلام من كان في الجاهلية ذليلا، وأذهب بالإسلام ما كان من نخوة الجاهلية وتفاخرها بعشائرها وباسق أنسابها، فالناس اليوم كلهم أبيضهم وأسودهم وقرشيهم وعربيهم وعجميهم من آدم، وإن آدم خلقه الله من طين، وإن أحب الناس إلى الله عزوجل يوم القيامة أطوعهم له وأتقاهم، وما أعلم يا جويبر لأحد من المسلمين عليك اليوم فضلا إلا لمن كان أتقى لله منك وأطوع، ثم قال له: انطلق يا جويبر إلى زياد بن لبيد، فإنه من أشرف بني بياضة حسباً فيهم، فقل له: إني رسول رسول الله إليك، وهو يقول: لك زوج جويبراً ابنتك الذلفاء.

قال: فانطلق جويبر برسالة رسول الله ﷺ إلى زياد بن لبيد وهو في منزله، وجماعة من قومه عنده، فاستأذن فأعلم فأذن له، فدخل وسلم عليه ثم قال: يا زياد بن لبيد، إني رسول رسول الله إليك في

حاجة لي، فأبوح بها أم أسرها إليك؟

فقال له زياد: بل بح بها؛ فإن ذلك شرف لي وفخر.

فقال له جويبر: إن رسول الله ﷺ يقول لك: «زوج جويبراً ابنتك الذلفاء».

فقال له زياد: أرسول الله ﷺ أرسلك إلي بهذا؟!

فقال له: نعم؛ ما كنت لأكذب على رسول الله ﷺ.

فقال له زياد: إنا لا نزوج فتياتنا إلا أكفاءنا من الأنصار، فانصرف يا جويبر حتى ألقى رسول الله ﷺ فأخبره بعذري.

فانصرف جويبر وهو يقول: والله، ما بهذا نزل القرآن، ولا بهذا ظهرت نبوة محمد ﷺ.

فسمعت مقالته الذلفاء بنت زياد، وهي في خدرها، فأرسلت إلى أبيها: أدخل إلي، فدخل إليها فقالت له: ما هذا الكلام الذي سمعته منك تحاور به جويبراً؟

فقال لها: ذكر لي أن رسول الله ﷺ أرسله وقال: يقول لك رسول الله ﷺ: «زوج جويبراً ابنتك الذلفاء».

فقالت له: والله، ما كان جويبر ليكذب على رسول الله ﷺ بحضرته، فابعث الآن رسولا يرد عليك جويبراً، فبعث زياد رسولاً فلحق جويبراً، فقال له زياد: يا جويبر، مرحباً بك، اطمئن حتى أعود إليك، ثم انطلق زياد إلى رسول الله ﷺ، فقال له: بأبي أنت وأمي، إن جويبراً أتاني برسالتك. وقال: إن رسول الله ﷺ يقول لك: زوج جويبراً ابنتك

الذلفاء، فلم ألن له بالقول، ورأيت لقاءك ونحن لا نتزوج إلا أكفاءنا من الأنصار؟

فقال له رسول الله ﷺ: يا زياد، جويبر مؤمن، والمؤمن كفو للمؤمنة، والمسلم كفو للمسلمة، فزوجه يا زياد ولا ترغب عنه.

قال: فرجع زياد إلى منزله ودخل على ابنته، فقال لها ما سمعه من رسول الله ﷺ.

فقالت له: إنك إن عصيت رسول الله ﷺ كفرت، فزوج جويبراً.

فخرج زياد فأخذ بيد جويبر، ثم أخرجه إلى قومه، فزوجه على سنة الله وسنة رسوله ﷺ وضمن صداقه.

قال: ئفجهزها زياد وهيئوها، ثم أرسلوا إلى جويبر، فقالوا له: ألك منزل فنسوقها إليك؟

فقال: والله، ما لي من منزل!

قال: فهيئوها وهيئوا لها منزلا، وهيئوا فيه فراشاً ومتاعاً، وكسوا جويبراً ثوبين، وأدخلت الذلفاء في بيتها، وأدخل جويبر عليها معتماً، فلما رآها نظر إلى بيت ومتاع وريح طيبة، قام إلى زاوية البيت فلم يزل تالياً للقرآن راكعاً وساجداً حتى طلع الفجر، فلما سمع النداء خرج وخرجت زوجته إلى الصلاة، فتوضأت وصلت الصبح، فسئلت: هل مسك؟

فقالت: ما زال تالياً للقرآن وراكعاً وساجداً حتى سمع النداء

فخرج.

فلما كانت الليلة الثانية فعل مثل ذلك، وأخفوا ذلك من زياد.

فلما كان اليوم الثالث فعل مثل ذلك، فأخبر بذلك أبوها، فانطلق إلى رسول الله ﷺ فقال له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أمرتني بتزويج جويبر، ولا والله ما كان من مناكحنا، ولكن طاعتك أوجبت علي تزويجه؟

فقال له النبي ﷺ: فما الذي أنكرتم منه؟

قال: إنا هيأنا له بيتاً ومتاعاً، وأدخلت ابنتي البيت، وأدخل معها معتماً فما كلمها ولا نظر إليها ولا دنا منها، بل قام إلى زاوية البيت فلم يزل تالياً للقرآن راكعاً وساجداً حتى سمع النداء فخرج، ثم فعل مثل ذلك في الليلة الثانية، ومثل ذلك في الثالثة، ولم يدن منها ولم يكلمها إلى أن جئتك، وما نراه يريد النساء، فانظر في أمرنا؟

فانصرف زياد وبعث رسول الله ﷺ إلى جويبر، فقال له: أما تقرب النساء؟

فقال له جويبر: أوما أنا بفحل! بلى يا رسول الله، إني لشبق نهم إلى النساء.

فقال له رسول الله ﷺ: قد خبرت بخلاف ما وصفت به نفسك، قد ذكر لي أنهم هيئوا لك بيتاً وفراشاً ومتاعاً، وأدخلت عليك فتاة حسناء عطرة وأتيت معتماً، فلم تنظر إليها، ولم تكلمها، ولم تدن منها، فما دهاك إذن؟

فقال له جويبر: يا رسول الله، دخلت بيتاً واسعاً ورأيت فراشاً ومتاعاً وفتاةً حسناء عطرةً، وذكرت حالي التي كنت عليها، وغربتي وحاجتي ووضيعتي وكسوتي مع الغرباء والمساكين، فأحببت إذ أولاني الله ذلك، أن أشكره على ما أعطاني وأتقرب إليه بحقيقة الشكر، فنهضت إلى جانب البيت فلم أزل في صلاتي تالياً للقرآن راكعاً وساجداً أشكر الله، حتى سمعت النداء فخرجت، فلما أصبحت رأيت أن أصوم ذلك اليوم، ففعلت ذلك ثلاثة أيام ولياليها، ورأيت ذلك في جنب ما أعطاني الله يسيراً، ولكني سأرضيها وأرضيهم الليلة، إن شاء الله.

فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى زياد، فأتاه فأعلمه ما قال جويبر، فطابت أنفسهم.

قال: ووفى لها جويبر بما قال.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله خرج في غزوة له ومعه جويبر فاستشهد (رحمه الله تعالى) فما كان في الأنصار أيم أنفق منها بعد جويبر»[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله زوج المقداد بن أسود ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب، ثم قال: إنما زوجها المقداد لتتضع المناكح، وليتأسوا برسول الله صلى الله عليه وآله ولتعلموا: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[2] وكان الزبير أخا عبد الله وأبي طالب لأبيهما وأمهما»[1].

---

(١) الكافي: ج٥ ص٣٣٩ باب أن المؤمن كفو المؤمنة ح١.

(٢) سورة الحجرات: ١٣.

وذكر أنه كان لعبد الملك بن مروان عين بالمدينة يكتب إليه بأخبار ما يحدث فيها، وإن علي بن الحسين عليه السلام أعتق جاريةً ثم تزوجها، فكتب العين إلى عبد الملك، فكتب عبد الملك إلى علي بن الحسين عليه السلام: أما بعد، فقد بلغني تزويجك مولاتك، وقد علمت أنه كان في أكفائك من قريش من تمجد به في الصهر وتستنجبه في الولد، فلا لنفسك نظرت ولا على ولدك أبقيت، والسلام!.

فكتب إليه علي بن الحسين عليه السلام: «أما بعد، فقد بلغني كتابك تعنفني بتزويجي مولاتي، وتزعم أنه كان في نساء قريش من أتمجد به في الصهر وأستنجبه في الولد، وأنه ليس فوق رسول الله صلى الله عليه وآله مرتقاً في مجد ولا مستزاد في كرم، وإنما كانت ملك يميني خرجت متى أراد الله عزوجل مني، بأمر ألتمس به ثوابه، ثم ارتجعتها على سنة، ومن كان زكياً في دين الله فليس يخل به شيء من أمره، وقد رفع الله بالإسلام الخسيسة وتمم به النقيصة وأذهب اللؤم، فلا لؤم على امرئ مسلم، إنما اللؤم لؤم الجاهلية، والسلام».

فلما قرأ الكتاب رمى به إلى ابنه سليمان فقرأه، فقال: يا أمير المؤمنين، لشد ما فخر عليك علي بن الحسين عليه السلام! فقال: يا بني لا تقل ذلك؛ فإنه ألسن بني هاشم التي تفلق الصخر وتغرف من بحر، إن علي بن الحسين عليه السلام يا بني يرتفع من حيث يتضع

---

(١) الكافي: ج٥ ص٣٤٤ باب أن المؤمن كفو المؤمنة ح٢.

الناس»[1].

وفي رواية أخرى عن الامام الصادق عليه السلام لما رد الامام السجاد عليه السلام على كتاب عبد الملك بن مروان قال لمن عنده: خبروني عن رجل إذا أتى ما يضع الناس لم يزده إلا شرفاً؟ قالوا: ذاك أمير المؤمنين، قال: لا والله ما هو ذاك؛ قالوا: ما نعرف إلا أمير المؤمنين! قال: فلا والله، ما هو بأمير المؤمنين، ولكنه علي بن الحسين عليه السلام.[2]

العودة إلى مقاييس القرآن

قال تبارك تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [3].

تقدم الكلام عن بعض الموانع التي وضعها بعض الناس والتي أثرت هي وغيرها بصورة مباشرة أو غير مباشرة على الزواج في المجتمع، فصار الرجل متأخراً في الزواج، أو عازباً عنه، ويوماً بعد يوم يتقدم به العمر دون أن يخرج من هذا المأزق الوضعي، وكذلك الحال بالنسبة للنساء، فكثرت النساء غير المتزوجات، بسبب هذه المقاييس الظالمة، التي ما أنزل الله بها من سلطان.

فأدت هذه الكثرة من الرجال والنساء غير المتزوجين، إلى ظهور

---

(١) الكافي: ج٥ ص٣٤٦ باب أن المؤمن كفو المؤمنة ح٤.

(٢) الكافي: ج٥ ص٣٤٥ باب أن المؤمن كفو المؤمنة ح٦.؟؟

(٣) سورة الحجرات: ١٣.

ألوان مختلفة من الفساد والانحراف الأخلاقي، والتمرد على الدين وأحكامه، فظهرت مظاهر الزنا واللواط والمساحقة والعلاقات المشبوهة، التي تضر بسمعة الطرفين. وأخذت بعض الدول تعاني من كثرة هذه الأخطار والمآسي، من جراء الانحلال الأخلاقي، وانعدام القيم، فكثرت وارتفعت نسبة الإجهاض والاغتصاب والاعتداء على الأعراض. لا سيما وأن الكنيسة تقوم ببث فكرة العزوبة بين الناس، كما هي في الرهبان والراهبات، والتي يختفي خلفها أشد أنواع الفساد، ولعل ذلك أعظم وأفظع من الفساد الظاهري، بينما القرآن الكريم يعري اتجاههم هذا بقوله: ﴿وَرَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغاءَ رِضْوانِ اللهِ فَما رَعَوْها حَقَّ رِعايَتِها﴾ (١).

قيل: الرهبانية التي أبتدعوها رفض النساء واتخاذ الصوامع.

وقال قوم: الرهبانية التي ابتدعوها لحاقهم بالبراري والجبال.

وقيل: الرهبانية الانقطاع عن الناس للانفراد بالعبادة. (٢)

أما رهبانية الإسلام فهي كما الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الاطهار عليهم السلام من أحاديث وتوجيهات، حيث روي: إنه توفي ابن لعثمان بن مظعون واشتد حزنه عليه حتى اتخذ في داره مسجداً يتعبد فيه، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «يا عثمان بن مظعون، إن الله لم يكتب

(١) سورة الحديد: ٢٧.

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ج٩ ص٥٣٧ سورة الحديد.

علينا الرهبانية، إنما رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله، يا عثمان، إن للجنة ثمانية أبواب وللنار سبعة أبواب، فما يسرك ألا تأتي باباً منها إلا وجدت ابنك إلى جنبك، آخذ بحجزتك يشفع بك إلى ربك؟».

قال: بلى.

قال المسلمون: ولنا في فرطنا ما لعثمان؟

قال: «نعم لمن صبر منكم و احتسب»(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «ليس في أمتي رهبانية ولا سياحة، ولا زم، يعني: السكوت»(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله أعطى محمداً صلى الله عليه وآله شرائع نوح . إلى أن قال . والفطرة الحنيفية السمحة، لا رهبانية ولا سياحة»(٣).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه نهى عن الترهب، وقال: «لا رهبانية في الإسلام، تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم»(٤).

وعن النبي صلى الله عليه وآله أيضاً أنه قال: «المتزوج النائم أفضل عند الله من الصائم القائم العزب»(٥).

---

(١) مستدرك الوسائل: ج٢ ص٤٠١ ب٦٠ ح٢٣٠٣.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٠ ص٥٢٤ ب٥ ح١٤٠٢٦.

(٣) مستدرك الوسائل: ج٨ ص١١٤ ب١ ح٩١٩٥.

(٤) دعائم الإسلام: ج٢ ص١٩٣ ف١ ح٧٠١.

(٥) مستدرك الوسائل: ج١٤ ص١٥٥ ب٢ ح١٦٣٥٧.

وعن عكاف بن وداعة الهلالي قال: أتيت إلى رسول الله ﷺ فقال لي: «يا عكاف، أ لك زوجة؟».

قلت: لا.

قال: «ألك جارية؟».

قلت: لا.

قال: «وأنت صحيح موسر؟!».

قلت: نعم، والحمد لله.

قال: «فإنك إذاً من إخوان الشياطين، إما أن تكون من رهبان النصارى، وإما أن تصنع كما يصنع المسلمون، وإن من سنتنا النكاح، شراركم عزابكم، وأراذل موتاكم عزابكم. إلى أن قال. ويحك يا عكاف، تزوج تزوج؛ فإنك من الخاطئين». قلت: يا رسول الله، زوجني قبل أن أقوم. فقال ﷺ: «زوجتك كريمة بنت كلثوم الحميري»(١).

وعن رسول الله ﷺ قال: «أربعة يلعنهم الله من فوق عرشه ويؤمنون الملائكة: رجل يتحفظ نفسه ولا يتزوج ولا جارية له كيلا يكون له ولد ..»(٢).

وقال ﷺ: «شراركم عزابكم، و العزاب إخوان الشياطين»(٣).

---

(١) ؟؟مستدرك الوسائل: ج١٤ ص١٥٥ ب٢ ح١٦٣٥٩

(٢) ؟؟مستدرك الوسائل: ج١٤ ص١٥٦ ب٢ ح١٦٣٦٠.

(٣) ؟؟جامع الأخبار: ص١٠٢ ف٥٨ في التزويج.

وقال ﷺ: «خيار أمتي المتأهلون وشرار أمتي العزاب»[١].

وقال ﷺ: «خير أمتي أولها المتزوجون وآخرها العزاب»[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «لعن الله وأمنت الملائكة على رجل تأنث وامرأة تذكرت، ورجل متحصر ولا حصور بعد يحيى»[٣].

إذاً، الواجب على المسلمين الرجوع إلى تعاليم القرآن وجعلها مقياساً حقيقياً ومنطلقاً أساسياً في الحياة، وكذلك الرجوع إلى السنة المطهرة، والأدب الإسلامي الرفيع، والأخلاق والتقاليد الإسلامية، فيلزم علينا أن نجعل كل ذلك هو الأساس في تعاملنا مع أنفسنا ومع الآخرين، وعندها سوف نحصل على مجتمع متكامل وأسرة فاضلة تسودها المحبة والإخلاص بإذن الله تعالى، أما اذا تشبثنا بالعادات الوضعية الدخيلة، وتمسكنا بظاهرة التقليد التي راجت كثيراً في بلداننا الإسلامية، تحاول أن تقلد نظام الأسرة في المجتمعات الغربية، فإن نتيجة ذلك هو: التفكك الأسري، والانحلال الأخلاقي[٤].

---

(١) ؟؟جامع الأخبار: ص١٠٢ ف٥٨ في التزويج.

(٢) ؟؟مستدرك الوسائل: ج١٤ ص١٥٦ ب٢ ح١٦٣٦٢.

(٣) مستدرك الوسائل: ج١٤ ص١٥٦ ب٢ ح١٦٣٦٣.؟؟

(٤) ذكرت دراسة سعودية . نشرت قبل سنتين . وأثارت الانزعاج في أوساط المجتمع السعودي بإشارتها إلى أن عدد الفتيات السعوديات غير المتزوجات سيرتفع من ١ر٥ مليون عانس إلى أربعة ملايين خلال السنوات المقبلة، وأشارت الدراسة إلى حدوث نحو (١٨ألف) حالة طلاق مقابل (٦٠ ألف)

فالحصانة والاستقرار الأسري الحقيقي يبتني على العودة إلى مقاييس القرآن والتمسك بها.

اللهم صل على محمد وآل محمد «اللهم تفضل على مشايخنا بالوقار والسكينة، وعلى الشباب بالانابة والتوبة، وعلى النساء بالحياء والعفة، وعلى الأغنياء بالتواضع والسعة، وعلى الفقراء بالصبر والقناعة»[1]

بحق محمد وآله الطاهرين.

عقد زواج في سنة واحدة، فنبه إلى ضرورة تمتين العلاقات الاجتماعية والروحية لدى الأجيال وتكثيف التربية على القيم الدينية الصحيحة الخاصة بالأسرة في المناهج التعليمية، وتيسير سبل الزواج أمام الشباب والشابات. ومن جهة أخرى دعا مجلس الشورى السعودي أكثر من خمسين امرأة مثقفة يمثلن كافة المناطق السعودية للإدلاء بآرائهن حول مشكلة العنوسة وإقناع الأسر السعودية بتخفيف أعباء الزواج والقبول بمهر متواضع، للتغلب على مشكلة تأخر الزواج في المجتمع السعودي الذي تمثل نسبة الإناث فيه (٤٩٫٩ في المائة) وفقا لبعض الإحصاءات. وبالرغم من التشجيع على ظاهرة الزواج الجماعي الذي تنظمه المناطق والجمعيات الخيرية، إلا أنه يبقى لدى البعض مجرد حل مؤقت، إذ لابد من إيجاد حلول جذرية تستند على تغيير العادات والتقاليد المتعلقة بالزواج وتحسين أوضاع الشباب.

(١) مصباح الكفعمي: ص٢٨٠ـص٢٨١ الفصل ٢٩ دعاء مروي عن الإمام المهدي عجل الله فرجه.

من هدي القرآن الحكيم

الحث على الزواج

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١).

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنا لهمْ أَزْواجاً وَذُرِّيَّةً وَما كانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتابٌ﴾ (٢).

وقال عزوجل: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فإن خِفْتُمْ أَلاَ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾(٣).

اختيار الزوجة الصالحة

قال جل وعلا: ﴿وَأَنْكِحُوا الأَيامى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبادِكُمْ وَإِمائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَراءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ واسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ

---

(١) سورة الروم: ٢١.

(٢) سورة الرعد: ٣٨.

(٣) سورة النساء: ٣.

(٤) سورة النور: ٣٢.

مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾[2].

التعامل الأخلاقي عامل انسجام

قال عزوجل: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لهمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[3].

وقال جل وعلا: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَ اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾[4].

آثار الإيمان

قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ۞ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لهمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[5].

وقال عزوجل: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لهمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً

---

(١) سورة التحريم: ٥.

(٢) سورة النساء: ٢٥.

(٣) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٤) سورة البقرة: ٨٣.

(٥) سورة الرعد: ٢٨-٢٩.

عَظِيماً﴾[1].

وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ۞ وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[3].

وقال عزوجل: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾[4].

وقال جل وعلا: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لهمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[5].

من هدي السنة المطهرة

الحث على الزواج

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٥.

(٢) سورة الطور: ٢١-٢٢.

(٣) سورة التوبة: ٧١.

(٤) سورة النساء: ١٥٢.

(٥) سورة المائدة: ٩.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أشيدوا النكاح وأعلنوه بينكم»[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «تزوجوا فإن رسول الله صلى الله عليه وآله كثيراً ما كان يقول: من كان يحب أن يتبع سنتي فليتزوج، فإن من سنتي التزويج، واطلبوا الولد فإني أكاثر بكم الأمم غدا، وتوقوا على أولادكم لبن البغي من النساء والمجنونة؛ فإن اللبن يعدي»[2].

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «إن امرأة سألت أبا جعفر عليه السلام فقالت: أصلحك الله، إني متبتلة، فقال لها: وما التبتل عندك؟! قالت: لا أريد التزويج أبداً. قال: ولم؟! قالت: ألتمس في ذلك الفضل، فقال: انصرفي، فلو كان في ذلك فضل لكانت فاطمة عليها السلام أحق به منك»[3].

الزوجة الصالحة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أفضل نساء أمتي أصبحهن وجهاً وأقلهن مهراً»[4].

وقال صلى الله عليه وآله: «إن من القسم المصلح للمرء المسلم أن تكون له امرأة إذا نظر إليها سرته، وإذا غاب عنها حفظته، وإن أمرها أطاعته»[5].

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ص٥١٩ المجلس ١٨ ح١١٣٨.

(٢) الخصال: ج٢ ص٦١٤ أبواب الثمانين، باب علم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه أربعمائة باب مما يصلح للمسلم في دينه ودنياه، ضمن ح١٠.

(٣) بحار الأنوار: ج١٠٠ ص٢١٩ ب١ ح١٣.

(٤) الكافي: ج٥ ص٣٢٤ باب خير النساء ح٤.

(٥) وسائل الشيعة: ج٢٠ ص٤٠ ب٩ ح٢٤٩٧٦.

وقال ﷺ أيضاً: «.. انكح، وعليك بذات الدين تربت يداك»[١].

حسن الخلق عامل انسجام الأسرة

قال رسول الله ﷺ: «حسن الخلق يثبت المودة»[٢].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «حسن الخلق يورث المحبة ويؤكد المودة»[٣].

وقال أبي عبد الله عليه السلام: «أيما أهل بيت أعطوا حظهم من الرفق فقد وسع الله عليهم في الرزق، والرفق في تقدير المعيشة خير من السعة في المال..»[٤].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ثلاث يوجبن المحبة: حسن الخلق، وحسن الرفق، والتواضع»[٥].

آثار الإيمان

قال رسول الله ﷺ: « تخللوا فإنه من النظافة والنظافة من الإيمان، والإيمان مع صاحبه في الجنة»[٦].

---

(١) ؟؟؟الكافي: ج٥ ص٣٣٢ باب فضل من تزوج ذات دين ح١.

(٢) ؟؟؟بحار الأنوار: ج٧٤ ص١٥٠ ب٧ ح٧١.

(٣) ؟؟؟غرر الحكم ودرر الحكم: ص٢٥٥ ق٣ ب٢ ف٢ ح٥٣٧٣.

(٤) الكافي: ج٢ ص١١٩ باب الرفق ح٩.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٥٥ ق٣ ب٢ ف٢ ح٥٣٧٢-.

(٦) ؟؟؟طب النبي ﷺ: ص٢١ .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «بالإيمان يرتقى إلى ذروة السعادة ونهاية الحبور»[1].

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «للمؤمن على الله عزوجل عشرون خصلة، يفي لهله -بها له- على الله تبارك وتعالى: أن لا يفتنه ولا يضله، وله على الله أن لا يعريه ولا يجوعه، وله على الله أن -لا يشمت به عدوه، وله على الله أن لا يخذله ويعزله، وله على الله أن لا يهتك ستره.. وله على الله أن يحشره يوم القيامة ونوره يسعى بين يديه..»[2].

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٨٩ ق١ ب٢ ف٦ ح١٤٩٦.

(٢) الخصال: ج٢ ص٥١٦ أبواب العشرين ح٢.

الفهرس

كلمة الناشر ٣
قانون الزوجيّة في كلِّ مظاهر الحياة ٧
الزوجية أمر ضروري ١١
النفس الواحدة ١٣
نظرية أصل الإنسان ١٦
القرآن والمسوخ ١٩
نظريات وانحرافات ٢٤
الأسرة في الإسلام ٢٨
حرية المرأة في الزواج ٣١
المرأة في الإسلام والأمم السابقة ٣٢
المرأة في المجتمعات غير الإسلامية ٣٦
كيف نحافظ على الأسرة؟ ٤٥
مرحلة ما بعد الزواج ٥٢
الإيمان وتأثيره على الأسرة ٥٣
الزواج المبارك ٥٤
العودة إلى مقاييس القرآن ٦٨
من هدي القرآن الحكيم ٧٤
من هدي السنة المطهرة ٧٦
الفهرس ٨٠